7 ريال RS

مُحَمَّدٌ بِشَارَةُ عِيسَى

عليهما الصلاة والسلام

(مقتطفاتٌ من الشمائِل المحمديةِ)

تأليف

إبراهيم بن عبداللَّه الغنام

إمام وخطيب جامع الملك فهد بعيون الجواء

قدم له وعلق عليه

أ.د سليمان بن حمد العودة

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القصيم

دار العقيدة للنشر والتوزيع

انتشارات عقيده

محمد بشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام

إبراهيم بن عبدالله الغنام

محمد

بشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام

بقلم/

إبراهيم بن عبد الله الغنَّام

بقلم /

إبراهيم بن عبد الله الغنَّام

جوال / ٠٥٠٤٨٩٠٧١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

أكتب لكل (إنسان)..

له قلب ينبض، أو عقل يفكر، أو ضمير حي.

أكتب للعالم أجمع..

حباً للخير، ونشراً للفضيلة، وإظهاراً للحقيقة، وإعلاماً بـ (الرحمة).

أكتب فأبدأه..

بقول من كُتبت فيه هذه السيرة (محمد) - عليه الصلاة والسلام - حين سئل: ما كان أول بدء أمرك؟!

فقال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى»[1].

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢) من حديث أبي أمامة، وعنده أيضاً (٤/ ١٢٨) والحاكم في المستدرك (٢/ ٦٠٠) من حديث العرباض بن سارية. قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٥) عن حديث أبي أمامة: (رواه أحمد وإسناده حسن، وله شواهد تقويه) وأورده ابن كثير بإسناد ابن اسحاق في المغازي عن بعض أصحاب النبي، ثم قال عنه كما في البداية (٢/ ٢٨٠): (وهذا إسناد جيد قوي) إذ أن جهالة الصحابي لا تضر، كما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤/ ٥٩-٦٢) (١٥٤٥) (١٥٤٦).

١- معادلة صعبة!!

الآن.. قد غطى الأرض ظلام دامس، وخيم على العالم سواد قاتم، وتلاعب الشياطين بالناس عبر ديانات مشوهة كافرة. فهناك (البوذيون) الذين يعبدون رجلاً يدعى (بوذا)، وإلى جانبهم عاش عباد البقر، وعبدة النار.

أمم تعبد الملائكة والجن، وأمم تعبد الصور والتماثيل، وأمم تعبد أرواح الموتى وآثارهم!!

وآخرون من الناس يعبدون مخلوقات كونية كالشمس والقمر، والأنهار والأشجار، وأمم تجعل الأنبياء والصالحين في مقام الإله!!

انتشر الفساد حتى عند الكبار (الفرس والروم) وأتباعهم، فالأخلاق منحلة، والظلم فاش، والإثم والفجور طابع الحكام والمستكبرين.

كان هذا هو حال العالم إبان عام الفيل عام (٥٧١م).

أما العرب فلا تسأل عن حالهم!!

يصنع أحدهم رباً له من التمر، فإذا جاع أكله!! وينحت آخر إلهاً له من الصخر، ويأتيه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه، ويقول له اطعم!!

فيأتي ثعلبان فيأكل الخبز والزبد، ثم يصعد على رأس هذا الإله ويبول عليه، والرجل ينظر مندهشاً، فينشد قائلاً:

لقد خاب قوم أمَّلوك لشدة ... أرادوا نزالاً أن تكون تحارب

فلا أنت تغني عن أمور تواترت ... ولا أنت دفّاع إذا حلّ نائب

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد ذل من بالت عليه الثعالب

يأخذ الأب منهم - بكل حمق وسفه - ابنته الصغيرة المولودة، فيدفنها حية خشية العار!! ولربما أجهز على ولده أيضاً خشية الفقر!!

الخمور تنتشر في نواديهم واجتماعاتهم!! المرأة ليست سوى قطعة من أثاث الدار!!

تقوم الحروب الطاحنة بينهم فتدور رحاها لأجل أتفه الأسباب، وتدوم عشرات السنين، فتلك هي داحس والغبراء، تقوم لأجل فرس ورهان، وتبقى أربعين سنة أتت على الأخضر واليابس!!

سلب ونهب، وغارات يشنها القوي على الضعيف، عادات قبيحة، وافتخار بالأحساب والأنساب!!

يا لله!! إلى أي حد وصل ذلك العقل البشري من السقوط!!

حتى تلك الأمم التي جاءها الأنبياء والمرسلون، امتدت فيهم ومنهم أيدي العابثين والمتلاعبين، فطالت كتبهم وأديانهم، فغيرت وبدلت!!

فلم يبق في ذلك الزمن إلا عدد قليل، وبقية باقية من أهل الكتاب (اليهود والنصارى) كانوا على الحق!!

فوضى عالمية عارمة عاشها الناس في تلك الفترة.

فيا ترى!! من سيحرر العقول من الخرافات؟! من سيرتفع بالبشرية إلى القمة السامية؟! وينقذها من الدرك الأسفل؟!

من هو المصباح الذي سيضيء تلك الظلمات وسط هذا العالم؟!

يقول ربنا عن تلك الفترة: «**وإني خلقتُ عبادي حنفاء كُلَّهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل**

به سلطاناً، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب...»[٢].

في تلك الفترة العصيبة، والليل البهيم، يشتهر بالصدق والأمانة والوفاء، رجل ببطحاء مكة، كان على خُلق عظيم، لقد ولد هذا الرجل في أحضان ظروف قاسية.. إذ مات أبوه وهو حمل في بطن أمه، كما ماتت أمه وهو ابن ست سنوات، ثم توالت عليه الأحزان!! ومع هذا لم يكن هذا الرجل على ما كان عليه أبناء جيله ومجتمعه، من الشرك، وشرب الخمور!!

تبدو عليه ملامح جذابة في خَلقه وخُلقه، واسمه (محمد)، اسم لم يكن معروفاً قبل ذلك الزمن، إلا في الكتب السماوية!!

إنه الآن يبلغ الأربعين سنة.

يا للهول!!

إنه يدعي النبوة، ويزعم أنه من عند الله! ويحذِّر الناس من عبادة الأصنام!! تثور ثائرة قريش (أهل مكة)، فيظهرون له ألواناً من السخرية والتَّهكم!!

ثم الأذى والحصار!! ثم التخطيط للقتل!!

إلا أن أعداداً قليلة تعتقد صحة ما يقول!!

بقي عندهم على ذلك ثلاث عشرة سنة، هاجر بعدها مكرهاً إلى المدينة ليبقى فيها عشر سنين... (مات) بعدها!!

---

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٧) (٢٨٦٥)، وأحمد في المسند (٤/ ١٦٢).

و(أحيا) أمةً تعيد العقل البشري إلى رُشده!! وتنتصر على الظلم والفجور!! وتحمل أرواح البشر فتطير بها إلى بر الأمان!! فيستنير العالم من ظلمته!! ويستفيق الميت من رقدته!!

وذلك خلال (٢٣) سنة فقط، قلب فيها موازين القوى، واستطاع أن ينهض بالإنسان ليعرف الهدف من خلقه!

إنك حينما تقارن (٢٣) سنة، بأعداد المسلمين اليوم، وبقاء هذه الدعوة راسخة على مدى خمسة عشر قرناً من الزمان، تشعر بصعوبة تلك المعادلة، لا سيما إن علمت أنه حينما فتح (مكة) لم يبق بعدها إلا سنة ونصف السنة تقريباً!! أضحت مكة بعدها قبلة المسلمين، ومهوى أفئدتهم!

- لم تنته المعادلة بعد!! -

أما الشطر الثاني من المعادلة: فذاك أن العرب قبل محمد - عليه الصلاة والسلام، قد غرقوا في الجهل، فأفسدوا كل شيء، فلم يبق لهم ما يفاخرون به إلا شيءٌ واحد، اتفق أهل الأرض عليه. أتدرون ما هو؟!

إنه البيان وفصاحة اللسان، فكان منهم الشعراء المبدعين، والخطباء اللامعين، ومن له أدنى معرفة وذوق في (اللغة العربية) يدرك ذلك تماماً، فكانت الكلمة من هذه اللغة لها مدلولاتها العميقة، ومقاصدها الدقيقة!!

فيقوم محمد - عليه الصلاة والسلام - بين أظهرهم، فيأخذ لواء (البيان) من بين أيديهم، ويحمل راية (البرهان)، ليحيل جهلهم إلى علم!! وظلمتهم إلى نور!! وحيرتهم

إلى رشاد!! وإرهابهم إلى سلام!! فتسموا بهم معاني الإنسانية، حتى إن أحدهم ليضع يده على جبهته، تسيل دموعه على خديه، ندماً على ما اقترفته يداه في سالف الدهر!!

فما إن يكفكف دمعه! إلا وتسيل أخرى فرحاً بهذه الرحمة المهداة، والنعمة المسداة (محمد بن عبد الله)!!

ثم تتبعه بعد ذلك شعوب كثيرة، وثقافات متعددة على مدى قرون عديدة، لا زالت حتى اليوم بازدياد!!

ولا تظن أن تبديل القناعات، وتغيير المفاهيم، وقطع الشهوات كان أمراً سهلاً!!

بقي أن تعلم أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - حين تحدث بلغتهم؛ فبزّهم ورفع راية بيانهم ففاقهم، فبهرهم ما جاء به، كان رجلاً أمياً لا يعرف القراءة والكتابة!!!

حقاً!! إنها معادلة صعبة، لا يمكن أن نعرف لها تفسيراً أو تأويلاً حتى نقرأ: (القاعدة السهلة)!!!

٢- القاعدة السهلة!!

الله وحده هو (الخالق)، وكل ما سوى الله فهو (مخلوق)

بكل هذه الصراحة وهذا الوضوح، كانت وستبقى هذه القاعدة حلاً لكثير من الإشكالات والخواطر، لدى النفس البشرية.

آدم عليه السلام أبو البشر كان في الجنة، إلا أنه لأجل خطيئته حين أكل من الشجرة بإغواء من إبليس والله قد نهاه عنها؛ أهبطه الله إلى الأرض بعد أن تاب عليه - ليلتئم كل سبب بنتيجته، فبقي آدم عليه السلام نادماً مستغفراً.

وكان آدم وذريته من بعده على التوحيد والإخلاص لله رب العالمين، إلا أن الشيطان الذي كان قد توعد بإغواء البشر لا يزال يكرر المحاولة تلو الأخرى، ليزين القبيح، ويحتال للشبهات ليصرف الناس عن عبادة الله وحده.

وبقي الناس بعد آدم عليه السلام على الدين الصحيح والفطرة، مدة من الزمن، إلى أن دخل إليهم الانحراف والكفر والشرك بالله، فكان هؤلاء الناس بحاجة إلى (الأنبياء والرسل)، ليتبين لهم مراد الله ومواضع مرضاته، فيظفروا بها، وأسباب سخطه ليفروا منها.

فأرسل الله نوحاً - عليه الصلاة والسلام - وكان أول الرسل، وكان بينه وبين آدم عليه السلام عشرة قرون، كانوا على الدين الحق[٣].

يعني ألف سنة، بل ربما تكون أكثر بحسب المراد بالقرن.

---

(٣) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/ ٦٠٣)، البداية لابن كثير (١/ ١٠٢-١٠٣).

فكان من رحمة الله وعدله وحكمته، بَعثُ (الأنبياء والرسل)، ألا ترى أن الدول تضع بينها السفراء لتقوم عن طريقهم مصالحهم، ولله المثل الأعلى.

ومن نوحٍ عليه السلام انطلقت (الرسالات)؛ لبيان الحقيقة، وإقامة العدل، وإظهار النور.

فلم يترك الله عز وجل الناس هملاً، بل أرسل إليهم رُسلاً منهم يتلون عليهم آيات ربهم، يبشرون من أطاعه بالجنة، وينذرون من عصاه بالنار.

فكان في هذه الأمم من استجاب واتبع، وفيهم من أعرض وابتدع، ولو شاء الله لهدى الناس جميعاً، ولولا الضال لم يكن للمهتدي فضل، ولولا الخطأ لم يتبين الصواب، ولولا روعة الإيمان والتوحيد لم يظهر قبح الكفر والشرك، ولولا الليل والظلام لم يفرح الناس بالصبح، ونحن البشر في دار اختبار وامتحان؛ لتمييز المخطئ من المصيب، والطيب من الخبيث، ليُجزى كلٌ بما عمل.

وهكذا تتابع الأنبياء والرسل؛ ليبلغوا عن الله عز وجل مراده، وكان كل رسول يأتي بلسان قومه، إذ لا يسوغ أن يأتي بلسانٍ ولغةٍ غير لغة قومه، فضلاً عن أن يكون ملكاً كما طلبت بعض الأمم.

ولذلك رد الله - تبارك وتعالى - على هؤلاء، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ ﴾[٤].

لكنهم لما كانوا بشراً، كان اللائق أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم ينزل إليه الملَكَ فيوحي إليه، ليكون هذا (الرسول البشر) هو (الشخصية البشرية المثالية) التي ستكون هي (القدوة) التي سيقاس عليها.

---

(٤) سورة الإسراء آية (٩٥).

وكان أبرز هؤلاء الرسل، أولئك الذين جدُّوا وصبروا على أمر الله الذي عُهد إليهم[٥]، وهم خمسة: (نوح، وإبراهيم،وموسى، وعيسى، ومحمد) - صلوات ربي وسلامه عليهم -؛ ولذا يقول الله تعالى: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[٦].

بل قال محمد ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعَلاَّت، أمهاتُهم شتى ودينهم واحد**»[٧].

وأولاد العَلاَّت الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، والمقصود أن أصل دينهم وإيمانهم واحد، وهو (إفراد الله تعالى وحده بالعبادة والإلهية)، وإن اختلفت فروع شرائعهم باختلاف أزمانهم وكتبهم وأحوالهم.

ويقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾[٨].

فنوح نبي، وإبراهيم نبي، وموسى نبي، وعيسى نبي، ومحمد نبي - عليهم الصلاة والسلام، وهم جميعاً من خلق الله تعالى، فهم يزيدهم شرفاً أن يكونوا عبيداً لله مع اصطفاء الله لهم للنبوة والرسالة!!

---

(٥) انظر لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤٠٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ٢٣١).

(٦) سورة الشورى آية (١٣).

(٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٥٥٠) (٣٤٤٢) (٣٤٤٣)، ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٣٧) (٢٣٦٥)، وأبو داود. كما في عون المعبود (١٢/ ٢٨١) (٤٦٦١)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٣١٩، ٤٠٦، ٤٣٧، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤١) من طرق متعددة كلها عن أبي هريرة.

(٨) سورة النحل آية (٣٦).

ألم نقل قبل قليل: أن الله (وحده) هو (الخالق) الرازق المحيي المميت، الإله المقدس المعظم، المستحق بأن نتجه له بكل أنواع العبادة، وذلك له وحده.

وأن كل - وأعيد مرة أخرى - (كل) ما عدا الله فهو (مخلوق) لابد أن يكون فيه النقص والحاجة إلى خالقه (الله) (رب العالمين)، وما هؤلاء الأنبياء الذين سبق ذكرهم، إلا من خلق الله، لكن الله اختارهم واصطفاهم وفضلهم على سائر الخلق، والله يفعل ما يشاء ويختار.

فمن زعم أن أحداً من خلقه شابهه أو قاربه أو ساواه، أو أنه أحل فيه روحه، فاكتسب بعض صفاته، فقد شابه أولئك القوم الجهلة الذين يصنعون ربهم بأيديهم! وربما أكلوه إذا جاعوا!!

وإذا جاز أن يكون لله منافس ثانٍ - تعالى الله عن ذلك - فلا يمنع أن يكون هناك ثالث ورابع وعاشر.

وإن جاز أن يكون لله ولد - تعالى الله عن ذلك - فلا يمنع أن يكون له ثان وثالث وهكذا، ونحن البشر نحتاج إلى الزوجة والولد، لكن الله لا يحتاج لأحد، لأنه الواحد الأحد.

فإذا ما أراد الإنسان أن يصلي فلمن يصلي؟! وإذا أراد أن يعمل عملاً يرجو ثوابه فلمن يعمل؟! إن لم يكن لله (وحده) فلمن يكون؟!!

دعك من هذه الحيرة، فلم أسمع أن دولة لها رئيسان، فإن وقع ذلك فاحكم على هذه الدولة بالفشل، وعلى شعبها بالضياع!!

إن هذا الكون الفسيح بدقته وانتظامه، ورحابته واتساعه وعجائبه وأسراره، ليقطع بواحدانية الله العظيم.

أرض وسماء، تراب وماء، خضرة وصحراء، شعاع وهواء، كواكب وأنواء، صيف وشتاء، هذا ما تراه أعيننا وما لم تره أجلُّ وأعظم، هذا ما تدركه عقولنا، وما لم تبلغه أكثر وأدهى.

كل ذلك يدل على أن قوةً عظيمةً - هي فوق مستوى البشر - تدير الكون وتصرفه، ينبغي أن يخضع لها البشر كما خضع لها سائر الخلق.

أتدري ما هي هذه القوة؟!

إنها التي تفزع إليها أنت عند الملمات والشدائد. إنه (الله رب العالمين).

٣- عيسى - عليه الصلاة السلام - يصدق ويبشر:

حكمة الله اقتضت أن يكون هؤلاء الإخوة (الأنبياء والرسل)، كسلسلة من حلقات، كل حلقة فيها ترتبط بما قبلها وما بعدها، إلا آخر حلقاتها، فارتباطها بما قبلها إذ لا حلقة بعدها، وذلك بداهةً.

وذلك النبي العظيم، جليل القدر، عيسى - عليه الصلاة والسلام - صدَّق من قبله وهو موسى - عليه الصلاة والسلام، والتوراة الذي يسميه النصارى (العهد القديم)، وبشّر بمن بعده، وهو محمد - عليه الصلاة والسلام.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[٩].

وقال محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**أنا أولى الناس بابن مريم، والأنبياء أولاد علاّت، ليس بيني وبينه نبي**»[١٠]، فليس بين عيسى - عليه الصلاة والسلام - ومحمد - عليه الصلاة والسلام - نبي، فإن كان هناك نبي فشريعته تكون تابعةً لعيسى عليه السلام فيكون المقصود أنه لم يأت أحدٌ بشريعة جديدة بعد عيسى - عليه الصلاة والسلام - إلا محمداً - عليه الصلاة والسلام.

وهؤلاء الأنبياء الكرام، ما منهم من أحد إلا وأنذر أمته (المسيح الدجال)[١١].

---

(٩) سورة الصف آية (٦).

(١٠) سبق تخريجه في حاشية رقم (٧)، وهذا أحد ألفاظه عند البخاري.

(١١) كما جاء في الأحاديث الصحيحة كالذي أخرجه البخاري عن ابن عمر. انظر الفتح (٦/ ٤٢٧) (٣٣٣٧) وكذا (١٣/ ٩٦) (٧١٢٧)، والذي أخرجه مسلم عن أنس (٤/ ٢٢٤٨) (٢٩٣٣).

إذ أن (المسيح) الذي يظهر في آخر الزمان (مسيحان) (مسيح الضلالة) وهو (الدَّجال) والآخر (مسيح الهداية) وهو (عيسى ابن مريم) - عليه الصلاة والسلام.

قال محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**ما أهبط الله تعالى إلى الأرض منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، فتنة أعظم من فتنة الدجال... (الحديث وفيه:) ثم ينزل عيسى ابن مريم مصدقاً بمحمد - عليه الصلاة والسلام - على ملته، إماماً مهدياً، وحكماً عدلاً، فيقتل الدَّجال**»(١٢).

وجاء في أحاديث أخرى: أن المسيح الدجال إذا رأى عيسى ابن مريم، ذاب كما يذوب الملح في الماء، ولو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن عيسى يقتله بيده، فيريهم دمه في حربته(١٣).

وقال محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**»(١٤)، والمقصود: أن عيسى عليه السلام يؤم القوم من أمة محمد - عليه الصلاة والسلام، فيحكم بهم بـ (القرآن الكريم) الذي نزل على محمد - عليه الصلاة والسلام.

---

(١٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٢٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٣٩) وقال: (رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات، وفي بعضهم ضعف لا يضر) وهو من حديث عبدالله بن مغفل، وفي مسلم (٤/ ٢٢٦٦) (٢٩٤٦) عن هشام بن عامر مرفوعاً: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال»، ويشهد لآخره ما في البخاري كما في الفتح (٦/ ٥٦٦) (٣٤٤٨) ومسلم (١/ ١٣٥) (١٥٥) عن أبي هريرة مرفوعاً: «...ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً...»، وكذا الحديث الآتي المخرج في حاشية رقم (١٤).

(١٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٢١) (٢٨٩٧)، وجاء في بعض الأحاديث أنه يذوب كما يذوب الرصاص، وجاء في الأحاديث: «أن من أراد المدينة بسوء، ذاب كما يذوب الملح في الماء».

(١٤) أخرجه البخاري. كما في الفتح (٦/ ٥٦٦) (٣٤٤٩)، ومسلم (١/ ١٣٦-١٣٧) (٢٤٤-٢٤٦).

ولا تظنَّنَّ أن هذا فيه انتقاص في حق عيسى - عليه الصلاة والسلام، بل فيه (الكمال) له، فإن الأنبياء أخوة يكمل كل واحد منهم دعوة الآخر.

والشريعة التي نسخت ما قبلها وبقيت هي - كما يقوله (عقل) كل عاقل - الشريعة التي جاء بها آخر هؤلاء الأنبياء وهو محمد - عليه الصلاة والسلام.

تلك الشرائع والأخبار والقصص التي كانت تنزل على (الأنبياء والرسل)، حوتها تلك الكتب (الإلهية) التي جاءوا بها، ولذا كان لزاماً علينا أن نؤمن بهؤلاء الأنبياء، وكذلك كتبهم التي هي من عند الله - تبارك وتعالى.

فـ(الزبور) أوتيه داود - عليه الصلاة والسلام، و(التوراة) نزل على موسى - عليه الصلاة والسلام، و(الإنجيل) نزل على عيسى - عليه الصلاة والسلام - و(القرآن) نزل على محمد - عليه الصلاة والسلام، وهكذا.

ولكن مع ذلك.. وقعت الكارثة التي لا يزال الناس يفتنون ويمتحنون بها، وقعت من أولئك الخلق المتلاعبين العابثين الذين امتدت أيديهم إلى تلك الكتب، فبدلوا فيها وغيروا، وزادوا ونقصوا، فحرفوا الكلم عن مواضعه، حتى أنه قيل: (لو اجتمع عشرة من علماء النصارى كي يُجمعوا على قول فصل واضح في عقيدتهم، لخرجوا بأحد عشر قولاً)!!

فلم يعد يجدي - بعد ذلك - الاعتماد على هذه الكتب.

إلا الكتاب (المعجزة)!!!

كأنها أذهلتك الكلمة، فيتردد في نفسك: وأيها الكتاب المعجزة؟!!

لقد كان الأنبياء تأتي معهم المعجزات التي تدل على صدق نبوتهم - ليهتدي من أراد الله له الهداية، فسليمان - عليه الصلاة والسلام - قد سخر الله له (الريح) تجري

بأمره حيث أراد، وموسى - عليه الصلاة والسلام - كان معه (العصى) يضرب بها البحر فينقلب إلى يابس، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - يحيي الموتى - بإذن الله - ويبرئ الأكمه والأبرص - بإذن الله، ويخبر قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم - بإذن الله.

أما محمد - عليه الصلاة والسلام - فكان خاتمهم وآخرهم، وربما جاءت بعده أجيال متعاقبة، وقرون متتابعة، حتى قيام الساعة، لا يعلم كثرتها إلا الله - وها أنت واحد منهم، فناسب أن تكون (معجزته) (خالدة) تبقى ما بقي الليل والنهار على هذه الأرض، فتكون هذه المعجزة حجة على أهل الأرض، فلا يحتاجون بعدها إلى نبي يرسله الله، فنزل (القرآن الكريم) (معجزة رب العالمين) على (خاتم الأنبياء والمرسلين) فتحدى به الله - تعالى - فصحاء العرب وبلغائهم، على أن يأتوا بسورة من مثله!!

هل ترى شيئاً من معجزات أولئك الأنبياء الكرام؟! لقد ماتت بموتهم؛ لأنها كانت تدرك بالعين حال حياتهم، ولو كانت معجزة محمد - عليه الصلاة والسلام - من هذا القبيل لماتت هي الأخرى، ولظل الناس في حيرة وغيبة عن الحقيقة.

فكان (القرآن الكريم) معجزة خالدة تكفل الله بحفظه، فيه شفاءٌ لما في الصدور، وهدىً ورحمة للمؤمنين، ولكن الناس في غفلة وذهول عن هذا الكتاب العظيم.

وإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

فكان (القرآن الكريم) آخر تلك الكتب الإلهية الربانية التي نزلت على أولئك الأنبياء الكرام، وهو مملوء بتلك القصص الرائعة المعبرة لدعوة (الأنبياء والرسل) لأممهم وأقوامهم، كقصة عيسى - عليه الصلاة والسلام - مع الحواريين في طلبهم إنزال مائدة من السماء، وقد جاء في الحديث: أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - قام في

الليل يصلي يردد آية واحدةً يركع بها ويسجد حتى أصبح[١٥]، وهي قول الله تعالى في قصة المائدة هذه، أن عيسى - عليه الصلاة والسلام - قال: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[١٦].

فكم كنت كريماً أميناً يا (محمد) بوحدانيتك لربك العظيم الغفار، وكم كنت عظيماً يا (عيسى ابن مريم) بعبوديتك لله الواحد القهار!!

---

(١٥) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٤٩)، والنسائي (٢/ ١٧٧) (١٠١٠)، وابن ماجه (١/ ٤٢٩) (١٣٥٠) وقال في الزوائد: (إسناده صحيح ورجاله ثقات) ا.هـ كلهم من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقصة بكاءه في مسلم (١/ ١٩١) (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(١٦) سورة المائدة آية (١١٨).

٤-بشارة الكتب الإلهية بمحمد:

كما أن تلك الكتب أنذرت من المسيح الدجال، فقد بشرت بالمسيح عيسى ابن مريم وبمحمد - عليهما الصلاة والسلام -[١٧]، ولن أذهب لأجمع وأستقصي كل ما هنالك، ولكني أشير لطرف منها.

- جبال (فاران) -

في سفر التثنية، الإصحاح الثالث والثلاثين، (١-٣) العهد القديم: (٢٦٢): "وهذه هي البركة، التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران..."[١٨].

ومعنى مجيء الرب من سيناء: (إنزاله التوراة على موسى - عليه الصلاة والسلام - من طور سيناء).

وأشرق من سعير: (إنزاله الإنجيل على عيسى - عليه الصلاة والسلام - من سعير، أرض الخليل بقرية تدعى: "ناصرة" وباسمها تسمى النصارى).

وتلألأ من جبال فاران: (إنزاله القرآن على محمد - عليه الصلاة والسلام، وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي "مكة").

وهذه الأماكن الثلاث أقسم الله بها في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾[١٩].

---

(١٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ١٩٧) (٥/ ٢٥٠).

(١٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ١٩٩-٢٠٧) مع الحاشية.

(١٩) سورة التين (١-٣).

فأقسم بالتين والزيتون: وهي الأرض المقدسة التي ينبت فيها ذلك، ومنها بعث المسيح وإنزال الإنجيل.

وأقسم بطور سنين: وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى.

وأقسم بالبلد الأمين: وهي مكة التي أسكن فيها إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه، ودعا فيها إبراهيم ربه أن يبعث فيهم رسولاً منهم، فاستجاب الله دعاء إبراهيم، فكان محمد - عليهم جميعاً أزكى الصلاة والتسليم.

وهذه الأماكن الشريفة المعظمة، هي التي ظهر فيها نور الله وهداه، وأنزل فيها الكتب: (التوراة)، و(الإنجيل)، و(القرآن).

وفي سفر حبقون، الإصحاح الثالث (٣-٤/ ٣-٧)، العهد القديم: (١٠٤٦): "الله جاء من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سلاه، جلاله غطى السماوات والأرض، امتلأت من تسبيحه. وكان لمعان كالنور له من يده شعاع..."[٢٠].

وجاء في كتاب الجواب الصحيح (٥/ ٢٦٧) أن حبقون قال:

"إن الله جاء من التيمن، والقدوس من جبل فاران، ولقد أضاءت السماء من بهاء محمد، وامتلأت الأرض من حمده، شعاع منظره مثل النور، يحوط بلاده بعزه، تسير المنايا أمامه، وتصحب سباع الطير أجناده...".

فهذه بشارة أخرى بمحمد - عليه الصلاة والسلام، وتصريح بنبوته التي جاءت من جبال فاران، وامتلأت السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته وتحميدهم.

---

(٢٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٢١) مع الحاشية، (٥/ ٢٦٧) مع الحاشية.

وجاء أيضاً في سفر حبقوق، الإصحاح الثالث (٣-٨)، العهد القديم: (١٠٤٦): "وظهر القدس على جبال فاران، وامتلأت الأرض من تحميد أحمد، وملك بيمينه رقاب الأمم، وأنارت الأرض لنوره، وحملت خيله في البحر..."[٢١].

- (العاقر) -

في سفر أشعيا، الإصحاح الرابع والخمسون، (١-٣) العهد القديم: (٨٣٥): "ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد، أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض؛ لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات الأمل. قال الرب: أوسعي مكان ضجتك، ولتبسط شقق مساكنك!!، لا تمسكي، أطيلي أطنابك وشددي أوتادك، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمماً، ويعمر مدناً خربة"[٢٢].

والمراد بالعاقر مكة - شرفها الله -؛ لأنها لم تلد قبل محمد - عليه الصلاة والسلام - نبياً، ولا يجوز أن يريد بالعاقر بيت المقدس؛ لأنه بيت الأنبياء ومعدن الوحي.

وفي سفر أشعيا، الإصحاح السادس والستين (١٢)، والعهد القديم: (٨٤٦): "إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد"[٢٣].

---

(٢١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٢٣)، مع الحاشية.

(٢٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٥٩) مع الحاشية.

(٢٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٦٦) مع الحاشية.

- (الفارقليط) -

في إنجيل يوحنا الإصحاح (١٤، ٢٦)، والعهد الجديد: (١٤٣):

قال يوحنا الإنجيلي: قال يسوع المسيح: "أن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي، هو يعلمكم كل شيء".

وفي إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر (١٥-١٩)، والعهد الجديد: (١٤٣): أن المسيح قال لتلاميذه: "إن كنتم تحبوني.. فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر، يثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه، لأنهم لم يعرفوه، ولست أدعكم أيتاماً لأني سآتيكم من قريب"[٢٤].

والفارقليط: كلمة عبرانية معناها: (أحمد) وهي بكسر الفاء، وعند بعضهم بالفتح ليكون معناها: الشفيع والمؤيد، وبعضهم لم يطق ذلك، فحرفها وبدلها لتكون (المعُزِّي).

وإذا كان معنى (الفارقليط) كما قال بعضهم (المخلِّص) فهو منطبق على (محمد) - عليه الصلاة والسلام، فإن المسيح هو المخلص الأول كما ذُكر في الإنجيل، أنه الفارقليط الأول، وقد بشر بفارقليط آخر.

وقوله: (يثبت معكم إلى الأبد): هذا إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر، ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته، وإنما بقاء شرعه وأمره، وهذا ينطبق على: (محمد) - عليه الصلاة والسلام، ودينه، إذ أنه الأخير، فيكون شرعه هو الناسخ[٢٥].

---

(٢٤) وهذا وما قبله وما بعده ينظر فيه للجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٨٤-٢٨٥) مع الحاشية.

(٢٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٩١)، (٥/ ٣٠٤).

ومعلوم باتفاق أهل الأرض، أنه لم يأت بعد المسيح من ساد العالم، باطناً وظاهراً، وانقادت له القلوب والأجساد، في حال حياته وبعد مماته، وظهر دينه، غير محمد - عليه الصلاة والسلام، والمساجد خير شاهد!!

كما أنه من المعلوم أنه لم يدع أحدٌ النبوة كاذباً إلا فضحه الله، وقطع دابره، وأظهر للناس زيفه.

- (أركون العالم) -

في إنجيل يوحنا، الإصحاح الرابع عشر (٣٠)، والعهد الجديد: (١٤٣):

"لا أتكلم معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء".

وفي كتاب الجواب الصحيح: أن المسيح قال: "إن أركون العالم سيأتي، وليس لي شيء"[٢٦].

والأركون بلغتهم: العظيم القدر، فقول المسيح - عليه الصلاة والسلام -:

"أركون العالم" إنما ينطبق على عظيم العالم، وسيد العالم بعد المسيح.

وهذه بشارة أخرى من المسيح - عليه الصلاة والسلام - بمحمد - عليه الصلاة والسلام.

و(محمد) أظهر دين الرسل قبله، وصدقهم ونوه بذكرهم وعظمهم، ومن طريقه آمنا بالأنبياء والرسل، فوقع في قلوبنا إجلالهم وإكرامهم، ومن تصديقه أنه صدق المسيح في إخباره بأنه أركون العالم، فقال محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**أنا سيد ولد**

---

(٢٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٣٠٤-٣٠٦) مع الحاشية.

آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»[٢٧].

كما قال أيضاً: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم**»[٢٨].

- (السيف من أجل الحق) -

في سفر المزامير، المزمور الخامس والأربعين: (١-٥)، العهد القديم: (٧٢): "فاض قلبي بكلام صالح، متكلم أنا بإنشائي للملك، لساني قلم كاتب ماهر، أنت أبرع جمالاً من بني البشر، انسكبت النعمة على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الأبد، تقلد سيفك على فخذك - أيها الجبار، جلالك وبهاءك، وبجلالك اقتحم، اركب من أجل الحق والدعة والبر، فتريك يمينك مخاوف، نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك، شعوب تحتك يسقطون"[٢٩].

وليس متقلد سيفه من الأنبياء بعد داود - عليه الصلاة والسلام - سوى محمد - عليه الصلاة والسلام، وهو الذي خرت الأمم تحته، وقُرنت شرائعه بالهيبة، وهو نبي

---

(٢٧) أخرجه الترمذي واللفظ له. كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٥٩) (٣٨٥٧)، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٠) (٤٣٠٨) كلاهما من حديث أبي سعيد، وهو عن أبي هريرة عند مسلم (٤/ ١٧٨٢) (٢٢٧٨) وأبي داود. كما في عون المعبود (١٢/ ٢٧٨) (٤٦٥٦).

(٢٨) أخرجه الترمذي. كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٥٨) (٣٨٥٦)، وابن ماجه (٢/ ١٤٤٣).(٤٣١٤)، وأحمد في مسنده (٥/ ١٣٧-١٣٨) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٢٩) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٣٧) مع الحاشية.

الرحمة كما أنه نبي الملحمة (القتال)، وسوف يأتينا كيف أن رحمته تمثلت في كل شيء حتى في حروبه ضد أعدائه!!

وفي سفر المزامير، المزمور الثاني والسبعون (٨-١٥)، العهد القديم: (٦٨٨): "ويملك من البحر ومن النهر إلى أقاصي الأرض، أمامه تجثوا أهل البرية، وأعداؤه يلحسون التراب، ملوك ترشيش والجزائر يرسلون تقدمة، ملوك شبا وسبأ يقدمون هدية، ويسجد له كل الملوك. كل الأمم تتعبد له، لأنه ينجي الفقير المستغيث والمسكين، إذ لا معين له، يشفق على المسكين والبائس، ويخلص أنفس الفقر من الظلم والخطف، يفدي أنفسهم ويكرم دمهم في عينيه، ويعيش ويعطيه من ذهب شبا، يصلَّى لأجله دائماً، اليوم كله يباركه"[٣٠].

وحينما نرى هذه الصفات نجدها منطبقة على محمد - عليه الصلاة والسلام - وأمته، فهو الذي قاتل بمن أطاعه من عصاه، فحاز من (البحر الأبيض المتوسط) وما عليه من دول إلى (البحر الفارسي) الذي هو شُعبة من (المحيط الهندي)، وكذا الأنهار (جيحون) و(سيحون) في خرسان وما وراء النهر، إلى آخر حدود أفريقية من الغرب.

وهو الذي خرت أهل الجزائر بين يديه، جزيرة العرب، والجزيرة التي بين الفرات ودجله، وجزيرة قبرص، وجزيرة الأندلس، وكانوا يطلقون اسم الجزيرة على ما هو شبه جزيرة.

وهو الذي كانت الملوك تهديه، وخضعت له ملوك الفرس، ودانت له الأمم التي تعرفه وتعرف أمته، فكانت إما مؤمنة به، أو مسلمة له منافقة، أو مهادنة مصالحة، أو خائفة منه.

---

(٣٠) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٥/ ٢٤٦-٢٤٨) مع الحاشية.

وبهذا يفسر الخوف العظيم من الإسلام اليوم!!

وهو الذي أنقذ الضعفاء من الجبارين، وانتصر للمظلوم من الظالم، وهو الذي يصلَّى عليه ويبارك في كل حين، عند ذكره وفي أدبار الصلوات، وفي الأذان.

فلم يُمكّن أحدٌ قبله من الأنبياء هذا التمكن.

كل ذلك يقتضي التبشير بمقدم (محمد) - عليه الصلاة والسلام - وصدق نبوته، وظهور دينه، كما يقضي على من شكك في ذلك وارتاب أو سخر واستهزأ بأنه (لا عقل له)!!!

٥- بين ميلادين:

بعد رفع الله المسيح عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - تغير حال الناس، فبدأ الإيمان يضعف شيئاً فشيئاً، حتى عُبدت الأوثان والنيران، وبدلت الأديان، وعم الفساد، وكثر الطغيان والجهل، فَتَاهَ العباد إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء الأقدمين، من بعض أحبار اليهود وعباد النصارى، وبقي الناس على هذه الحال، حتى بعث الله محمداً - عليه الصلاة والسلام، فقال تعالى مخاطباً أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩ ﴾[٣١].

وهذه الفترة التي كانت بين المسيح ومحمد - صلوات الله عليهما وسلامه - تقدر بنحو: ستمائة سنة شمسية، وهي تعادل ستمائة وعشرون سنة قمرية تقريباً[٣٢].

تلك الفترة خفتت بها الأنوار، وسرى فيها الشرك في الأقطار والأمصار، ونسي الناس ما جاء به الأنبياء والمرسلين في سالف الأعصار؛ احلولكت فيها الظلمات، فلم تعد الأبصار تشاهد، ولم تعد الأفئدة تعقل، وأصبح وباء الشرك يطوف بدور الناس وأسواقهم ونواديهم، فيذهب معه بأفكارهم، ويتلاعب بأحلامهم، يرقص معه بالشهوات، وتحفه الشبهات!!

وفي (لحظة) حاسمة، وساعة رهيبة مذهلة.

(لحظة) عظيمة كتب الله ميعادها عنده في اللوح المحفوظ.

---

(٣١) سورة المائدة آية (١٩).

(٣٢) انظر في ذلك تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣٠)، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ١٠١).

(لحظة) تدفق فيها النور من أرض جبل، لا زهر فيها ولا نهر.

أشرق بالدنيا صباح لم يعرف الإنسانُ لروعته نظيراً، صباح مع شعاعه العطر يسري، وفي نسماته الفكر يجري ويمضي.

تغرد فيه الطيور السابحات معلنة (ميلاد) فجر جديد.

تغني بألحان تسرق اللب، وتأسر الهوى، فيسج مع الأُنس.

(صباح) و(ضياء) و(نور)، من أرض حجر وتراب، لا اخضرار فيها ولا أشجار، لتقول (للعالم) كل العالم انظروا إليَّ!!

لم أكتسي من حلل الدنيا بشيء، لا أنهار، ولا بحار، لا أشجار، ولا اخضرار، ولا أزهار (لأدخر لكم ذلك في الآخرة).

إني أنا (العقيم)[٣٣] التي لم تلد!!

أعلنها لكم عما قليل، ستسعد الدنيا بما ألد!!

سيسطع (النور) من أرض (الحجاز)، سيعم الكون ضياءٌ عظيم، يقبل من جبال (فاران)!!

لحظات... وتأتي (اللحظة)، إنها تقترب... تقترب جداً...

فرحت الدنيا، غردت الطيور، أشرق الكون، عم البشر، ما أبهى العقول حين تسمو، ما أسعد الصدور حين تنشرح.

---

(٣٣) وذلك أنه قد جاء في كتبهم كما مر معنا: أن (مكة) عقيم لم تلد أحداً من الأنبياء قبل محمد ﷺ، وكذلك مر معنا: أن جبالها هي التي تدعى جبال (فاران) عندهم.

إنه (ميلاد) عهد جديد، (ميلاد) جيل فريد، (ميلاد) دين تليد، ميلاد مولود (عظيم)، لا لشيء، إلا لأن الله أراد أن يكون (عظيماً).

إنه أيها السيدات والسادة (ميلاد) (محمد) (عبد الله ورسوله) - عليه الصلاة والسلام - سئل محمد - عليه الصلاة والسلام -: يا نبي الله! ما كان أول بدء أمرك؟

قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام**»[٣٤].

- آية تاريخية باهرة -

كان مولده في العشرين من (نيسان) عام (٥٧١م)[٣٥]، وهو ذلك العام المشهور عند العرب باسم (عام الفيل)، إذ أنه جاء أبرهة الأشرم من أرض اليمن إلى (مكة) يريد هدم (الكعبة)، ليصرف حج العرب إلى كنيسة هائلة في صنعاء، تدعى (القُلِّيس) لارتفاعها، لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها، فجاء أبرهة بجيش عظيم لا قبل للعرب به، ومعه (الفيلة) العظام، الأمر الذي كان غريباً على العرب أيضاً، وكان قد أقسم لينقضن الكعبة حجراً حجراً، ولم يكن يعلم أن للبيت رب يحميه.

فلما كان على مشارف (مكة)،وكان قد هزم من عارضه في الطريق من قبائل العرب، بات تلك الليلة على مشارفها، فلما أصبح وأراد توجيه الجيش والفيلة، (وفيل) عظيم كان معه إلى البيت الحرام و(الكعبة)، برك الفيل، فكانوا يحاولون معه بكل

---

(٣٤) سبق تخريج هذا الحديث في حاشية رقم (١).

(٣٥) انظر (السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية) ص (١٠٩).

وسيلة، فكان يقوم ويبرك غير أنه لا يتقدم خطوة واحدة تجاه (الحرم) و(الكعبة)، فإذا ولوا وجهه إلى اتجاه آخر سار يهرول، حتى إذا أراد الله أذن لطير أمثال (الخطاطيف) تأتي من قبل البحر، ومعها حجارة في مناقيرها وأقدامها لا يقع منها حجر على أحد من هؤلاء الجيش إلا هلك، فولى جيش أبرهة دبره هارباً، فهلك منهم من هلك، ونجا منهم من نجا[٣٦].

فكانت هذه الآية العجيبة، والحدث الضخم الذي لا يُنسى، كالعلامة البارزة والبصمة الواضحة والمفصل البين في جبين التاريخ، وكأنها تقول (للعالم كله): انظروا كيف أن (مدبر هذا الكون والذي لا يغيب عن علمه شيء وهو القادر على كل شيء) وهو (الله وحده)، أراد في هذا العام الذي أظهر لكم فيه (قدرته) أن يبعث من بينكم (رحمه)!!

استجابة لدعوة إبراهيم، وتحقيقاً لبشارة عيسى - عليهما الصلاة والسلام، فدونت كتب التاريخ ذلك الحدث، وذكره الله في (القرآن)، فأرخت العرب وغير العرب ميلاد النبي (محمد) - عليه الصلاة والسلام - بـ(عام الفيل)، وكان في شهر ربيع الأول في يوم اثنين منه، يرجح أنه الثاني عشر من ذلك الشهر.

ومع ذلك كله، ومع تلك الآيات التي صاحبت (مولده)، إلا أن المسلمين الأوائل في عهده - عليه الصلاة والسلام - وبعده بقرون، لم يتخذوا (ميلاده) عيداً، ولم يصنعوا له احتفالاً، وحين كثرت أعداد المسلمين، وامتزجت حضارتهم بحضارة غيرهم، شاب الماء العذب الصافي ما شابه من الاختلاط والكدر.

---

(٣٦) انظر (تفسير ابن كثير) (٧/ ٣٦٩-٣٧٦).

فـ (ابتدع) بعض المسلمين من عند نفسه (عيداً واحتفالاً) لم يشرعه الله ولا رسوله، ونسي: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[٣٧].

بل قال محمد - عليه الصلاة والسلام - بتواضع جم، وأسلوب بديع: «**مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنياناً، فأحسنه وأجمله. إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلاَّ وُضعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين**»[٣٨].

وهكذا كان محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - لا يريد أن تكون العظمة المطلقة والكبرياء والقوة إلا لصاحبها (الله رب العالمين).

- تحليل منطقي -

وهذا الذي لم يستوعبه كثير من المسيحيين (النصارى) فيما أرادوه هم للمسيح، وما أراده الله لمحمد - عليهما الصلاة والسلام.

فإن الغرب المسيحي المتدين، ينظر للمسيح - عليه الصلاة والسلام - على أنه (إله) في صورة (فرد)، دفع دمه ثمناً مقدماً لجميع خطاياهم القادمة، وعندما سيطر الفكر النفعي على الشخصية الغربية، أصبح التعلق بشخص المسيح - عليه الصلاة والسلام - يمثل قمة النفعية لمن اختاروا التدين، فهو قد قام بدفع فاتورة خطاياهم حتى قبل أن

---

(٣٧) سورة آل عمران آية (١٤٤).

(٣٨) أخرجه البخاري، كما في الفتح (٦/ ٦٤٥) (٣٥٣٥)، ومسلم (٤/ ١٧٩٠-١٧٩١) (٢٢٨٦)، واللفظ له.

يقعوا فيها، وأبقى لهم الحياة لكي يمارسوا فيها ما شأوا من أفعال، طالما أن محبة المسيح - عليه الصلاة والسلام - (كفرد وإله) - تسيطر على مشاعرهم.

أما من تركوا الدين المسيحي فأصبحوا لا دينيين، فقد كان المسيح - عليه الصلاة والسلام - (بعد تحريف الدين) مركزياً في مواقفهم الفكرية، فهو (فرد)، وبالتالي لا يمكن أن يختلف عن غيره من البشر، وبالتالي فليس هناك (إله) بزعمهم، كما أن المسيح - عليه الصلاة والسلام - بصورته التي قامت الكنيسة الغربية بتصويرها، رحيم منعزل عن حياة الناس، يقبل بكل معايير الحياة الإنسانية، ولا يدعو إلاّ إلى الحرية والمساواة، وهي أهم قيم العلمانية، ولا تصادم من تركوا الدين، وبالتالي فلا حاجة إلى مصادمة المسيح - عليه الصلاة والسلام.

وبناءً عليه.. فالعلاقة مع محمد - عليه الصلاة والسلام - عندهم علاقة تصادمية مع كلا التيارين، الديني والعلماني على مستوى الفكر الغربي، فمحمد - عليه الصلاة والسلام - حرص على أن يكون (فرداً) (إنساناً) بكل معاني الإنسانية، ورفض أن يكون (إلهاً) في صورة (إنسان)، وبالتالي فهو يناقض فهم المتدينين من الغرب للإله الذي عرفوه، وبالتالي تكونت الكراهية والضيق من كل ما يمثله محمد - عليه الصلاة والسلام، فهو ليس على شاكلة المسيح - عليه الصلاة والسلام - في نظرهم، وهو كذلك يناقض رغبات ومشاعر غير المتدينين، لأنه يطلب من البشر - كما أمره خالقه - الكثير من العبادات والأعمال والالتزامات، ويقدم حرية (المجتمع) على حرية (الفرد)، ويضحي بـ (المساواة) من أجل (العدالة) ومن أجل صلاح المجتمع، كل ذلك ساهم في تكوين صورة سلبية خاطئة قاسية عن نبي الإسلام محمد - عليه الصلاة والسلام[٣٩].

---

(٣٩) انظر كتاب لماذا يكرهونه لـ د. باسم خفاجي، ص(٦٠-٦١) وهو منقول عنه بتصرف.

ومن ذلك: تحذير محمد - عليه الصلاة والسلام - من (التطرف) في الأنبياء والرسل، برفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم الله إياها، فأصاب عين الهدف وكبد الحقيقة حين قال: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**»(٤٠).

لأنه وبكل وضوح وجلاء وصراحة، لا يريد أن يكون (الفرد) (الإله) (النبي)، وإنما يريد أن يكون (الفرد) (النبي) (الإنسان) (القدوة لعباد الله).

حقاً لقد كان مجيء محمد - عليه الصلاة والسلام - (امتحانٌ للعالم)، لقبول (الرحمة) أو رفضها.

وفي الامتحان يتألق أقوامٌ، ويخفق آخرون!!

والله تعالى يقول: «... **إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك**...»(٤١).

ويقول الله في كتابه (المعجزة): ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾(٤٢).

---

(٤٠) أخرجه البخاري، كما في الفتح (٦/ ٥٥١) (٣٤٤٥)، وأحمد في المسند (١/ ٢٣)، والترمذي في الشمائل ص(٢٧١) باب (٤٨) (٣٣١)، والدارمي في سننه (٢/ ٣٢٠) كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤١) سبق تخريج الحديث القدسي في حاشية رقم (٢).

(٤٢) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

٦- الصادقون من (اليهود والنصارى):

نعت الله - تبارك وتعالى - أهل الكتاب من (اليهود والنصارى) بنعت بديع في شأنهم مع محمد - عليه الصلاة والسلام، وذلك بأن علماءهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم!! وذلك بما عندهم من العلم السابق.

فقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾[٤٣].

فمن هؤلاء فريقٌ كتم هذا الحق ولم يظهره وناصبه العداء، وفريق بينه وأظهره، وهؤلاء لهم فضل شهادة الحق، وفريق ثالث وهو أروعهم قبل هذا الحق وآمن به.

كيف لا يشهدوا بالحق؟!، وهو الذي وقعت له الآيات التي لا تقع إلا لـ (نبي) حتى في صغره - عليه الصلاة والسلام.

فها هو خادم رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام، وهو أنس بن مالك يقول: «**أن رسول الله - عليه الصلاة و السلام - آتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقةً، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طستٍ من ذهب بماء زمزم ثم لأمهُ، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه - يعني: مرضعته - فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون - يعني: متغير اللون - قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره**».

---

(٤٣) سورة البقرة، آية (١٤٦).

بقي أن تعلم ما الذي أُدخل بدل تلك العلقة التي هي حظ الشيطان؟! لقد أدخل في قلبه الرأفة والرحمة[٤٤]!! وكأني بمن يقرأ الآن أخذته الريبة في مثل هذه القصة، ولكن ليعلم الجميع أن لو كان تحقيق (رضا الله) و(الوصول للحقيقة) بـ (العقل البشري) فقط، لحار الناس واضطربوا، ولما احتاجوا إلى (الوحي)، وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى (الأنبياء والرسل) أصلاً، ولكن هو (الوحي) و(العقل) لا غنى لأحدهما عن الآخر!!

والله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الفعّال لما يريد.

ويبدو أن هذه الحادثة كانت بمثابة الإعلان المبكر لأمر محمد - عليه الصلاة والسلام، وتهيئته منذ صغره بوسائل مادية لقبول (الوحي)، وليكون ذلك أدعى لإيمان من يراه من العرب وغيرهم، فيصدق به وبرسالته.

إنها إذن عملية تطهير معنوي، اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون ذلك الإعلان الإلهي بين أبصار الناس وأسماعهم.

ومن تلك العلامات الجسدية التي كان أهل الكتاب يعرفونه بها: (خاتم النبوة)، الذي كان على ظهره بين كتفيه، وهو بقدر بيضة الحمامة[٤٥].

---

(٤٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٤٧) (١٦٢)، وأحمد في المسند (٣/ ١٤٩) والنسائي (١/ ٢٢٤) (٤٥٢)، وقد جاء في أحاديث صحيحه أخرى أن حادثة شق الصدر وقعت له في الإسراء والمعراج ولا تعارض بينهما، إذ المحققون من أهل العلم ذكروا أنها وقعت له مرتين، وذكر (الرأفة والرحمة) جاءت عند أحمد (٥/ ١٣٩) من حديث أبي بن كعب عن أبي هريرة.

(٤٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٣) (٢٣٤٤)، والترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٨٩) (٣٨٨٨)، وفي الشمائل أيضاً ص (٤٢) (١٧)، وأحمد في المسند (٥/ ٩٠)، كلها من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

ومن تلك الدلائل: أن اليهود حاولوا غير مرة أن يقتلوه، وتاريخهم ملطخ بقتل الأنبياء والإجهاز عليهم، غير أنهم أرادوا شيئاً، لكن الله أراد شيئاً آخر، فلم يكن لهم ما أرادوا، لأن إرادة الله الخالق أقوى من عبث المخلوقين!

- بحيرى (الراهب النصراني) -

لما بلغ محمد – عليه الصلاة والسلام – ثنتي عشرة سنة، خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في أشياخ من قريش – وكانوا يخرجون إليها للتجارة، فلما أشرفوا على الراهب – يعني: بحيرى – هبطوا، فحلوا رحالهم،فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج ولا يلتفت إليهم، قال: فنزل وهم يحلون رحالهم، فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد النبي – عليه الصلاة والسلام – فقال: هذا سيد العالمين، بعثه الله رحمةً للعالمين، فقال له أشياخ من قريش: وما علمك؟! فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خر ساجداً، ولا تسجد إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه. ثم رجع فصنع لهم طعاماً، فلما أتاهم به – وكان هو في رعية الإبل – قال: أرسلوا إليه، فأقبل وغمامة تظله، فلما دنا من القوم قال: انظروا إليه عليه غمامة، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء – ظل – شجرة، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه، قال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه. قال: فبينما هو قائم عليهم وهو ينشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه، التفت فإذا هو بسبعة من الروم قد أقبلوا، قال: فاستقبلهم فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جئنا لأن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه ناس، وإنا أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه، قال: فهل خلفكم أحد هو خير منكم؟ قالوا: لا، إنما أُخبرنا خبره إلى طريقك هذه، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه، هل يستطيع أحد من الناس رده؟

فقالوا: لا. قال: فبايعوه وأقاموا معه عنده. قال: فقال الراهب: أنشدكم الله. أيكم وليه؟ قالوا: أبو طالب. فلم يزل يناشده حتى رده، وزوده الراهب من الكعك والزيت(٤٦).

فها هو الراهب النصراني (بحيرى) عرفه بما معه من علم الكتاب الذي تعلمه.

---

(٤٦) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٦٤) (٣٨٦٣)، وابن جرير الطبري في تاريخه (١/ ٥١٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٢١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٥-٦١٦)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٣٠٧-٣١٢) وقال مهدي رزق الله في (السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية) ص (١٢٠): (اختلف العلماء في هذا الحديث. فقد حسنه الترمذي، وصححه الحاكم والألباني وعرجون وشعيب وعبد القادر الأرنؤوط وابن حجر... وأنكره الذهبي، وقال: وهو حديث منكر جداً، وأين كان أبو بكر؟!).

وقد أجاب عن ذلك ابن حجر فقال كما في الإصابة: (١/ ١٧٧) (٧٩٥): (وقد وردت هذه القصة بإسناد رجاله ثقات من حديث أبي موسى الأشعري أخرجها الترمذي وغيره ولم يسم فيها الراهب، وزاد فيها لفظه منكرة وهي قوله: واتبعه أبو بكر بلالاً، وسبب نكارتها: أن أبا بكر حينئذ لم يكن متأهلاً ولا اشترى يومئذ بلالاً، إلا أن يحمل على أن هذه الجملة الأخيرة منطقعة من حديث آخر أدرجت في هذا الحديث..).

وقال ابن كثير كما في البداية (٢/ ٢٨٩): (... وهكذا رواه غير واحد من الحفاظ من حديث أبي نوح عبدالرحمن بن غزوان الخزاعي مولاهم، ويقال له: الضبي، ويعرف بقراد. سكن بغداد وهو من الثقات الذين أخرج لهم البخاري، ووثقه جماعة من الأئمة والحفاظ، ولم أر أحداً جرحه، ومع هذا في حديثه هذا غرابة، قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال عباس الدوري: ليس في الدنيا أحد يحدث به غير قراد أبي نوح، وقد سمعه منه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين لغرابته وانفراده. حكاه البيهقي وابن عساكر...).

قلت: وساق القصة واحتج بها ابن تيمية كما في الجواب الصحيح (٢/ ٧٢-٧٩)، وابن القيم كما في الزاد (١/ ٧٦)، وانظر صحيح الترمذي للألباني (٣/ ١٩١).

- (الجاهلي) الذي (تنصر) -

كان ورقة بن نوفل رجل يبحث عن (النور) و(الحقيقة) والدين الحق، وكان له صديق يقال له: زيد بن عمرو بن نفيل على نفس نهجه، لم يعجبهما ما كان عليه أهل مكة من الشرك، فخرجا من مكة بحثاً عن الدين الحق، حتى انتهيا إلى راهب بالموصل، فقال الراهب لهما: إن الذي تلتمسان يوشك أن يظهر في أرضكم(٤٧).

ووصلا أيضاً إلى الشام، فأما زيد بن عمرو فبعد سؤاله لعلماء اليهود والنصارى هناك دلوه على دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام، فكان يرفع يديه ويقول: "اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم"، وكان زيد هذا لا يأكل من ذبائح قريش، ويقول: "الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله"(٤٨).

مات زيد هذا على دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام، قبل أن يبعث الله نبيه محمداً - عليه الصلاة والسلام، ومما ينبغي أن يعلم أن بعث محمداً بالرسالة والنبوة كان وهو ابن أربعين سنة.

وأما صاحب زيد ورفيق دربه ورقة بن نوفل، فكان في الوقت الذي اتبع فيه زيد دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام، اتبع فيه ورقة دين النصارى، فكان يكتب الإنجيل بالعبرانية والعربية أيضاً، حيث كان يجيد اللغتين، وكان ورقة ابن عم خديجة بنت خويلد التي تزوجها محمد - عليه الصلاة والسلام.

---

(٤٧) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٣٩) وصححه، والبيهقي في الدلائل (٢/ ١٢٤-١٢٦)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٦٢)، وأبو داود والطيالسي - ترتيب البنا (٢/ ١٦١)، وحكم مهدي رزق الله في (السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية) على إسناد الطيالسي بأنه حسن لغيره.

(٤٨) أخرجه البخاري، كما في الفتح (٧/ ١٧٦) (٣٨٢٦) (٣٨٢٧).

مكث (ورقة) في مكة على دين النصارى آنذاك حتى كبر سنه وعمي، وكان مشهوراً بالعلم والحلم والحكمة ورجاحة العقل، حتى وقعت هذه:

- (القصة) -

كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يذهب فيخلو بغار حراء بمكة فراراً من دين المشركين وجهالاتهم، فيتعبد فيه لربه على - ملة إبراهيم - يمكث ليالٍ على هذا، ثم يرجع إلى زوجه خديجة فيتزود من عندها ثم يعود إلى الغار، وبينما هو كذلك، إذا بالحق يأتيه، فجاءه الملك فقال له: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ (أي: لا أحسن القراءة)، يقول محمد - عليه الصلاة والسلام -: فأخذني فغطني (أي: ضمني واعتصرني حتى احتبست أنفاسي) حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني (أي: تركني) فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ (أي: لا تقرؤه بقوتك ولا بمعرفتك، لكن بحول ربك وإعانته، فهو يعلمك كما خلقك، وكما نزع عنك علق الدم وغمز الشيطان في الصغر، وعلم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم بعد أن كانت أمية). ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾[٤٩] فرجع بها يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني (أي: غطوني) فزملوه، حتى ذهب عنه الروع (أي: الخوف والدهشة)، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا، أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل

(٤٩) سورة العلق، آية (١-٥).

الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ (الضعيف الذي لا يعتمد على نفسه)، وتكسب المعدوم (وهو الشيء الذي لا يجده الناس)، وتقري الضيف (أي: تكرمه)، وتعين على نوائب الحق (وهي كلمة جامعة يراد بها كل خير مما ذكر ومما لم يذكر).

فانطلقت به خديجة حتى أتت به صاحبنا (ورقة بن نوفل) فقالت له: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي - يعني: محمداً - ماذا ترى؟! فأخبره خبر ما رأى. فقال له ورقة:

"هذا الناموس (يعني: صاحب السر وهو جبريل) الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً (أي: شاباً)، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً"(٥٠).

ثم لم يلبث بعد ذلك (ورقة) طويلاً حتى توفي، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يوحى فيها إلى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو ابن أربعين سنة، وكانت تلك الآيات من القرآن هي أول آياته نزولاً.

إنها (الحقيقة) من أوسع أبوابها، وها هو (ورقة) قد أمسك بيده بطرف الخيط، ورسم جسراً خالداً بين محمد - عليه الصلاة والسلام - والأنبياء قبله.

جسراً لا تحطمه القنابل النووية التي دمرت اليابان، ولا الذكية التي ضربت العراق، ولا العنقودية التي فتكت بأفغانستان، ولا (خديعة الإرهاب الكبرى) التي يُلاحق بها أتباع محمد - عليه الصلاة والسلام -!!

---

(٥٠) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منه، انظر الفتح (١/ ٣٠) (٣)، ومسلم (١/ ١٣٩) (١٦٠)، وغيرهما.

- (الملك) (النصراني) الذي (أسلم) -

(النجاشي) لقب لكل من ملك أرض الحبشة، كما أن (فرعون) لقب لكل من ملك أرض مصر، كانت مساحة أرض الحبشة شاسعة ليست بحدودها الجغرافية اليوم، حتى أن قبائل السودان كانت تعطي الطاعة لملك الحبشة.

وكان (النجاشي) واسمه (أصحمة) ملك عادل لا يُظلم في ملكه أحد، وكان على الديانة (النصرانية)، فلما اشتد إيذاء المشركين في (مكة) للنبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وأتباعه، أذن محمد - عليه الصلاة والسلام - لكثيرٍ من أتباعه بالهجرة إلى الحبشة؛ ليعبدوا الله هناك حيث (العدل) و(الحرية) تحت ملك هذا الملك العادل، فتتابعت أعداد المسلمين المهاجرين حتى بلغوا (ثمانين) رجلاً، و(ثمان عشرة) امرأة تقريباً.

قلق المشركون من هذا الإجراء الذكي، فعمدوا لسياسة تستخدمها كثيراً وسائل الإعلام اليوم لحجب النور وتشويه الصورة، حيث بعثوا رسولين إلى (النجاشي)، هما عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ومعهم هدية، فلما دخلا على النجاشي سجدا له، ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله، ثم قالا له: إن نفراً من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا. قال: فأين هم؟ قالا: في أرضك، فابعث إليهم، فبعث إليهم، فقال جعفر بن أبي طالب - من المسلمين - لأصحابه: أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه، فسلم ولم يسجد، فقالوا له: ما لك لا تسجد للملك؟ قال: إنا لا نسجد إلا لله ﷻ. قال: وما ذاك؟ قال: إن الله بعث إلينا رسولاً، ثم أمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله ﷻ، وأمرنا بالصلاة والزكاة. قال عمرو: فإنهم يخالفونك في عيسى ابن مريم، قال: فما تقولون في عيسى ابن مريم وأمه؟ قال: نقول كما قال الله: هو كلمته وروحه ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد. (أي: لم يؤثر فيها ولم يَحُزَّها

يعني قبل المسيح)[٥١]، فرفع النجاشي عوداً من الأرض، ثم قال: يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان، والله ما يزيدون على الذي نقول فيه ما يسوى هذا، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده، أشهد أنه رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وأنه الذي نجد في الإنجيل، وأنه الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم، انزلوا حيث شئتم، والله لولا ما أنا فيه من الملك، لأتيته حتى أكون أنا الذي أحمل نعليه، وأمر بهدية المشركين فرُدت إليهم[٥٢].

وكان من دلائل نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام - وما أكثرها، أنه بعد ذلك بسنين كان النبي - عليه الصلاة والسلام - في المدينة النبوية في العام التاسع الهجري فـ(نعى النجاشي) في اليوم الذي مات فيه!!

ولم يكن هناك وسائل (اتصالات سريعة) كما هو الحال اليوم، ولكنه (اتصال) الأرض بالسماء، إنه (الوحي) فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**مات اليوم رجل صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمة**»[٥٣].

رحمك الله أيها (النجاشي)، حقاً لقد حكمت فعدلت، وشهدت بالحق فأصبت، وآمنت بالحقيقة حين عرفتها ففزت.

---

(٥١) انظر لسان العرب (٧/ ٢٠٥)، والنهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٣٣).

(٥٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٤٦١) من حديث ابن مسعود، وقال ابن كثير عن إسناده: (وهذا إسناد جيد قوي وسياق حسن) كما في البداية والنهاية (٣/ ١١٨).

(٥٣) أخرجه البخاري، كما في الفتح (٧/ ٢٣٠) (٣٨٧٧)، ومسلم (٢/ ٦٥٧) (٩٥٢)، والنسائي (٤/ ٦٩) (١٩٧٠)، من حديث جابر بن عبد الله، وقد جاء عن أبي هريرة وعمران بن حصين رضي الله عنهم جميعاً.

- هرقل (ملك النصارى) بالشام -

نحن هذه المرة على فراش (قيصر) وقيصر لقب لكل من ملك الروم، وكانت عاصمتهم ببلاد الشام حيث تجارة العرب، سمع (قيصر) - وكان اسمه (هرقل) - بظهور محمد - عليه الصلاة والسلام - وها هي الآن قد أتته رسالة منه يدعوه فيها إلى الإسلام، وكان (هرقل) ملكاً ذكياً، فأرسل إلى (تجار قريش) - (القبيلة التي ينتمي إليها محمد - عليه الصلاة والسلام -)، وكانوا وقتها متواجدين في الشام، وكان محمد - عليه الصلاة والسلام - في المدينة المنورة، قد عقد مع مشركي (مكة) هدنةً مدتها عشر سنين ابتداءً من آخر السنة السادسة من الهجرة، فجاء هؤلاء التجار إلى هرقل استجابة لطلبه، ولندع المجال لأحد طرفي القصة، وهو زعيم قريش (أبو سفيان بن حرب) يقص علينا - بعد إسلامه - ما الذي كان بالتحديد، فيقول (أبو سفيان بن حرب): (أرسل إلينا هرقل، ونحن ركب من قريش، وكنا تجاراً بالشام في المدة التي صالحنا بها رسول الله - عليه الصلاة والسلام، فأتيناه وهو بإيلياء، فدعانا لمجلسه وحوله عظماء الروم، ودعا بترجمانه، وقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟!

يقول أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً.

فقال: أدنوه مني، وقَرِّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره. ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه.

يقول أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحدٌ قط قبله؟ قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحدٌ منهم سخطةً لدينه (أي: كراهية وعدم اقتناع) بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.

قال أبو سفيان: ولم تمكنِّي كلمةٌ أدخل فيها شيئاً - غير الصدق - غير هذه الكلمة.

قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سجال، (أي: نوب)، ينال منا وننال منه.

قال: بماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والصلة.

فقال (هرقل) لترجمانه: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها.

وسألتك: هل قال أحدٌ منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحدٌ قال هذا القول قبله، لقلتُ رجلٌ يأتسي بقولٍ قيل قبله.

وسألتك هل كان من آبائه من مَلِك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت: رجل يطلب ملك أبيه.

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت: أن لا، فقد عرفتُ أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله.

وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت: أن ضعفاؤهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل.

وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت: أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم.

وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب.

وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت: أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر.

وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت: أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لكني لم أكن أظن أنه منكم.

فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه.

ثم دعا بكتاب رسول الله – عليه الصلاة والسلام – الذي بعث به إليه، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام (أي: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (أي الفلاحين) و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[٥٤].

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب، وارتفعت الأصوات، وأُخرجنا. فقلت لأصحابي حين أُخرجنا: لقد عَظُم أمر محمد، إنه ليخافه ملك الروم، فما زلتُ موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام وأنا كاره)[٥٥].

أذكر - عند سماعي لهذه (الوثيقة التاريخية)، والقصة الشيقة - أنها وقعت من نفسي موقعاً مذهلاً لا أنساه!!

فأُعجبت كثيراً بدهاء (هرقل)، وجودة استنتاجاته، ثم شهادته بالحق، وتأملت طويلاً بفصاحة (أبي سفيان)، وروعة أسلوبه، وصدق رواياته، وصدقوني أن القلب يخفق حتى الآن، والقلم يتوقف من جلال (محمد) - عليه الصلاة والسلام، ونور دعوته، ومختصر رسالته!!

---

(٥٤) سورة آل عمران. آية (٦٤).

(٥٥) أخرجه البخاري. كما في الفتح (١/ ٤٢) (٧)، ومواضع أخر كثيرة، ومسلم (٣/ ١٣٩٣) (١٧٧٣)، وغيرهم.

أما أبو سفيان فأراد الله به الخير فأسلم عام فتح مكة، بعد أن طيّب الرسول - عليه الصلاة والسلام - خاطره بقوله: «... **ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**...»[٥٦].

أما (هرقل) فكانت تساوره رغبة الإيمان، واعتناق دين الإسلام، لكنه خشي على نفسه القتل، وعلى ملكه الزوال، خصوصاً بعد أن اختبر قومه وعلماء النصارى بهذه القصة:

جمع (هرقل) عظماء الروم بقصر له بحمص، ثم أمر بأبواب القصر فغلقت، ثم اطلع عليهم فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي - يعني: محمداً - عليه الصلاة والسلام -؟

فنفروا منه نفرة شديدة، وهرعوا إلى الأبواب فوجودها مغلقة، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليَّ. ثم قال: إني قلتُ مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم، فقد رأيت. فسجدوا له ورضوا عنه[٥٧].

وهذا يدل على أن الإنسان قد يصرفه عن (الحقيقة) أطماعه المادية، أو بيئته الثقافية، أو أنه لسوء نيته وشيءٍ أضمره لم يرد الله له الهداية إليها: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[٥٨].

---

(٥٦) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٠٥) (١٧٨٠)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٩٢)، وغيرهم.

(٥٧) انظر البخاري الموضع السابق. وانظر الفتح (١/ ٤٤) (٧).

(٥٨) سورة النور. آية (٤٠).

- (الفارسي المجوسي) الذي (تنصر) ثم (أسلم) -

هل سمعتم - أيها السيدات والسادة - برجل يخسر المال والأهل لأجل أن يربح (الحقيقة)، وهل عرفتم رجلاً يركب الصعب ويقهر النفس ويجوب الفيافي والقفار - في وقت ليس فيه إلا قدم تأكلها الرمضاء أو خف أو حافر، حتى يصل إلى شاطئ (النور) فيعرفه يوم أن رآه، فيبحر فيه مطمئناً سعيداً.

لا أفسد عليكم المتعة بعباراتي، ولكن دعونا نأخذ القصة من فيّ صاحبها (سلمان الفارسي) إذ يقول:

كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها: جي، وكان أبي دهقان قريته (أي: رئيس القرية)[٥٩]، وكنت أحب خلق الله إليه، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قاطن النار التي يوقدها، لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة (والضيعة ما يكون له منها معاشه كالزراعة والتجارة)[٦٠]، فشغل في بنيان له يوماً، فقال لي: يا بني، إني قد شغلت في بنيان هذا اليوم عن ضيعتي، فاذهب فاطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد، فخرجت أريد ضيعته، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم انظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه، فو الله ما تركتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي ولم آتها، فقلت لهم: أين أصل هذا الدين، قالوا:

---

(٥٩) وهو معرب، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٤٥).

(٦٠) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ١٠٨).

بالشام، ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته، قال: أي بني أين كنت؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت، فقلت: يا أبت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه، فقلت: كلا والله إنه خير من ديننا، فخافني بعد ذلك فجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيته، فبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى، فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأخبروني بهم، فلما أرادوا الرجعة أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين، قالوا: الأسقف في الكنيسة، فجئته فقلت: إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك، قال: فادخل فدخلت معه، فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق، فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته يصنع، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً، قالوا: وما علمك بذلك، فقلت: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: فدلنا عليه، فأريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً، فلما رأوها، قالوا: والله لا ندفنه أبداً فصلبوه ثم رجموه بالحجارة، ثم جاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه، فما رأيت رجلاً - لا يصلي الخمس - أرى أنه أفضل منه، أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه، فأحببته حباً لم أحبه أحداً من قبله، وأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة، فقلت له: يا فلان، إني كنت معك

وأحببتك حباً لم أحبه أحداً من قبلك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله، فإلى من توصيني؟ وما تأمرني؟

-قال لي: أي بني، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنتُ عليه، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلاً بالموصل (وهي البلد المعروف في العراق)، وهو فلان، فهو على ما كنت عليه فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك، وأخبرني أنك على أمره، فقال لي: أقم عندي فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة قلت له: يا فلان، إن فلاناً أوصاني إليك وأمرني باللحاق بك وقد حضرك من الله ما ترى، فإلى من توصيني؟ وما تأمرني؟

قال: أي بني، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه، إلا رجلاً بنصيبين (وهو بلد شمال شرق سوريا)، وهو فلان فالحق به، فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين، فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي، قال: فأقم عندي، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فو الله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت له يا فلان، إن فلاناً أوصاني إلى فلان ثم أوصاني فلان إليك فإلى من توصيني؟ وما تأمرني؟!

قال: أي بني، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلاً بعمورية (بلدة في تركيا تعرف اليوم باسم بروسة)، فإنه بمثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا، قال فلما مات وغيب، لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري، فقال: أقم عندي، فأقمت مع رجل على هدى أصحابه وأمرهم واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة، ثم نزل به أمر الله، فلما حضر قلت له: قد علمت من أمري ما علمت، فإلى من توصيني؟ وما تأمرني؟!

قال: يا بني، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين، بينهما نخل به علامات لا تخفى، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، بين كتفيه خاتم النبوة.

فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل، ثم مات وغيب، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفر من كلب (قوم من قبائل العرب) تجاراً، فقلت لهم: تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه، قالوا: نعم.

فأعطيتهموها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى (بلد شمال المدينة المنورة يفصل بين الحجاز والشام)[٦١]، ظلموني فباعوني من رجل من يهود عبداً، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي، وما حقت عندي (أي: لم تكن على طبق ما وصف لي)، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة.

فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها، وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر، مع ما أنا فيه من شغل الرق.

ثم هاجر إلى المدينة، فو الله إني لفي رأس عذق النخل لسيدي أعمل فيه بعض العمل وسيدي جالس، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال: فلان!

قاتل الله بني قيلة (وهم الأنصار)، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء (أحد المواضع في المدينة وفيه المسجد المعروف) على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

---

(٦١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٣٥٤).

فلما سمعتها أخذتني العُرواء (أي: الرعدة) حتى ظننت سأسقط على سيدي، ونزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول. ماذا تقول!!

فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة، ثم قال: مالك ولهذا، أقبل على عملك، قلت: لا شيء، إنما أردت أن استثبت عما قال.

وقد كان عندي طعام قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء فدخلت عليه، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم، فقربته إليه، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه كلوا وأمسك يده، فلم يأكل، فقلت في نفسي هذه واحدة، ثم انصرفت عنه، فجمعت شيئاً من الطعام، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئت به فقلت: إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها، فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه، فقلت في نفسي هاتان اثنتان، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد (الموضع الذي فيه المقبرة)، وقد تبع جنازةً من أصحابه عليه شملتان له (نوع من اللباس)، وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره. هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟!

فلما رآني رسول الله ﷺ استدرته، عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي[٦٢].

---

(٦٢) أخرجه ابن إسحاق في مغازيه كما في سيرة ابن هشام (١/ ٢٧٣-٢٨٢) ومن طريق ابن إسحاق أحمد (٥/ ٤٤١)، وصرح في المسند ابن إسحاق بالتحديث ومن وجه آخر الحاكم (٣/ ٥٩٩-٦٠٤) وقال: (هذا حديث صحيح عال في ذكر إسلام سلمان ولم يخرجاه)، وقال ابن حجر في الفتح (٤/ ٤٨٠) (... هذا طرف من حديث وصلة أحمد والطبراني من طريق ابن إسحاق... وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحهما من وجه آخر عن زيد بن صوحان عن سلمان نحوه، وأخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم من =

فتحول بعد ذلك سلمان الفارسي إلى دين الإسلام، ونطق بـ(أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله)، وقص على النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - قصته هذه، فأعجب ذلك النبي - عليه الصلاة والسلام - وأحب أن يسمعها أصحابه من صاحبها.

ثم أعان النبي - عليه الصلاة والسلام - سلمان بأن ينعتق من الرق، فكان له ذلك، وجعل له المكانة العالية بين أصحابه.

حتى أنه في يوم من الأيام شعر النبي - عليه الصلاة والسلام - وكأن صاحبه ورفيق دربه الذي هاجر معه وخليفته من بعده - أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أغضب سلمان (الفارسي)، وبلال (الحبشي)، وصهيب (الرومي) في قصة كانت بينهم.. فقال النبي محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**يا أبا بكر! لعلك أغضبتهم. لئن كُنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**».

فينطلق أبو بكر وهو الذي تربى في مدرسة محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو تلميذه النجيب الأول، حتى يأتيهم فيقول لهم: يا إخوتاه! أغضبتكم؟ قالوا: لا. يغفر الله لك. يا أُخيَّ[٦٣].

ولكأن النبي - عليه الصلاة والسلام - يريد أن يبين للعالم أجمع، أنه لا فرق في - الإسلام - بين أبيض وأسود، وشرقي وغربي، وعربي وعجمي، وفارسي وأوروبي، إنما الفضل والكرامة لمن عمل، وطهر نفسه فرباها على ما يحب الله ويرضى.

= حديث بريدة بمعناه) وذلك عند ما علقه البخاري في البيوع. باب / شراء المملوك من الحربي وهبته وعتقه.

ثم قال ابن حجر في تغليق التعليق (٣/ ٢٦٦): (هو صحيح بشواهده).

(٦٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٤٧) (٢٥٠٤)، والإمام أحمد في المسند (٥/ ٦٤).

حقاً. لقد كنت بطلاً يا (سلمان) تقاسي الشدائد، وتتحمل المشاق، وتتقلب في الخدمة والرق، وأنت الذي كان والدك رئيس القرية، فلمَ. لمَ يا (سلمان)؟!

كأني بلسان الحق يهتف عنك فيقول:

لأجل أن يكون مثلاً لكل ناشد حق، وأنموذجاً رائعاً، يصنع الدلائل بخطى قدميه ويرسم البراهين بكلتا يديه، على أن هناك أمراً فطرياً في أنفس البشر يبحثون عنه!!

إنه دين محمد - عليه الصلاة والسلام.

٧- الأديب الروسي، والكاتب البريطاني:

أجدني مضطراً الآن، أن أحلق بكم فوق الزمن، فلم يتوقف الأمر على أفراد من العرب أو النصارى أو اليهود أو غيرهم يدخلون في دين محمد - عليه الصلاة والسلام، بل أصبحت الوفود والجماعات تأتي إليه من كل مكان لتكتحل عيونهم برؤيته، فيؤمنوا به راضين غير مجبرين، محبين غير كارهين.

وليس العجب من أولئك فهم يرون الدلائل الواضحات، والبراهين الساطعات على صدق نبوته وقداسة رسالته، ولكن العجب ممن لا زال يعيش في شَرَك التكذيب، ومصيدة التشكيك، وفخ التشويه والتشتيت!!.

فها هم المسلمون اليوم، واليوم فقط أكثر من (مليار ونصف) مسلم مع ما يواجهونه من حروب التصفية والإبادة، أضف إليهم ملايين البشر الذين سبقوهم، هل يعقل أن كل هؤلاء انطلت عليهم الحيلة؟!!

ولقد أجاد الكاتب البريطاني المعروف (توماس كارلايل) حين قال في كتابه (الأبطال): (من العار أن يصغى أي إنسان متمدن من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين بأن: دين الإسلام كذب، وأن محمداً لم يكن على حق. لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب، أو خديعة مخادع؟! لو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج، لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً،

وكان الأجدر بها ألا توجد! هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً، ثم يتعهده بالنشر بهذه الصورة؟!)[٦٤].

إننا كثيراً ما نجنح لأفكار، ونتصور اعتقادات، ونتمسك بآراء، نكتشف بعد ذلك أنها كانت (خطأ).

ليست المشكلة في ذلك الاكتشاف، ولكن المعضلة ذلك الإصرار السيء، ورائعة هي تلك الجرأة المنطقية التي تقود الإنسان عند اكتشافه للخطأ أن يأخذ بالصواب حتى وإن خسر من أجل ذلك!!

من المبدعين الذي عملوا بهذه القاعدة المنطقية الأديب الروسي (تولستري) الذي تسبب دفاعه عن محمد - عليه الصلاة والسلام - في حرمان البابا له من رحمة الله، بعد أن هاجم المستشرقين المتشددين بسبب التهم التي يحاولون إلصاقها بمحمد، فكتب مؤكداً: أن محمداً رسول الله، من كبار المصلحين الذين خدموا المجتمع خدمة جليلة.

لقد انبهر (تولستري) بشخصية النبي - عليه الصلاة والسلام، وظهر ذلك واضحاً على أعماله، فيقول في مقالة له بعنوان: (من هو محمد؟!): (إن محمداً هو مؤسس ورسول، كان من عظماء الرجال الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جليلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السكينة والسلام، وتؤثر عيشة الزهد، ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية، وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهو عمل عظيم لا يقدم عليه إلا شخص أوتي قوة، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال).

---

(٦٤) لماذا يكرهونه؟ لـ د. باسم خفاجي، ص(١٠٩).

فهل يستحق من يقول هذا الكلام المتوازن الخروج من رحمة البابا؟ وهل هناك حقاً ما يمكن أن يسمى رحمة البابا؟! أعتقد أن سبب إخراج (تولستري) وغيره من المبدعين من رحمة البابا، هو أنهم قد اكتشفوا زيف هذه الرحمة عندما تعرفوا جيداً على الإسلام، وشخصية نبي الإسلام - عليه الصلاة والسلام[٦٥].

(٦٥) لماذا يكرهونه؟ لـ د. باسم خفاجي، ص(٧١-٧٢).

٨- لا حيلة في المرتاب:

لم يكن (القرآن) معجزة محمد - عليه الصلاة والسلام - الوحيدة، ولكنه أعظمها وأبقاها وأمضاها!

وقد وقع له من المعجزات الحسية، والدلائل النبوية، والأمور الخارقة للعادة، في حياته الكثير، ولذا أفرد علماء الإسلام لذلك مصنفات.

وذكر القرآن وكذا السنة قصص الأنبياء والأمم السابقة التي لم يكن لنا أن نعرفها لولا رحمة الله (محمد) - عليه الصلاة والسلام.

ومن العظيم المدهش: أنه أخبر بأمور تقع بعد موته، وبالفعل منها ما وقع طبقاً لما وصف، ومنها ما ننتظر وقوعه.

كل ذلك، لا من عند نفسه فهو لا يعلم الغيب، إنما هو ما يطلعه الله عليه عن طريق (الوحي)، قال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[٦٦].

فاتركوني الآن، أُطلع أعينكم التي في رؤوسكم، على هذه الأخبار مكتفياً منها بالقليل لأشير به إلى الكثير:

(١) صعد محمد - عليه الصلاة والسلام - على جبل أحد بالمدينة وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فقال وهو يخاطب الجبل: «**أثبت.. إن عليك نبي، وصديق، وشهيدان**»[٦٧].

---

(٦٦) سورة الجن، آية (٢٦-٢٧).

(٦٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (٧/ ٢٦) (٣٦٧٥)، وأبو داود كما في عون المعبود (١٢/ ٢٦٣) (٤٦٣٧)، والترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ١٢٧) (٣٩٤٤).

ومعلوم أن هؤلاء الثلاثة كانوا خلفاؤه من بعده،فـ(النبي) هو - عليه الصلاة والسلام، و(الصديق) أبو بكر رضي الله عنه ومات على فراشه، و(الشهيدان) عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وتسجل كتب التاريخ أن يقتل عمر في المحراب وهو يصلي فهو شهيد المحراب، ويقتل عثمان في داره وهو يقرأ القرآن ويتقاطر دمه على المصحف، وفي كل قطرة منها صدق نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام -!!

(٢) إخباره أن خلافة النبوة بعده (ثلاثون) عاماً، ثم تكون مُلكاً[٦٨]، وبالفعل يكون مجموع خلافة أبي بكر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ثلاثون عاماً، ثم كان مُلك بني أمية، وأنى لمحمد - عليه الصلاة والسلام - أن يعلم ذلك لولا (النبوة) و(الوحي).

(٣) إخباره بأنه «**ستخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى**»[٦٩] من أرض الشام (وهي مدينة حوران)، وفي عام (٦٥٤هـ) يرى الرائي ببصرى وهو في الليل أعناق الإبل تلوح من بعيد على نحو لم يكن يراها فيه من شدة وهج تلك النار ونورها، إذ أنه في هذا العام ظهرت تلك النار في بعض أودية المدينة المنورة، واستمرت شهراً، حتى قالوا فيها أشعاراً وأرخوا بها، ووصفت بأن طولها اثني عشر ميلاً، وعرضها أربعة أميال (والميل: ما ينتهي إليه البصر) و(قُدر بأنه نحو ثلاثة آلاف ذراع)[٧٠] حتى أنها أذابت الصخر من شدتها حتى كان كالفحم[٧١].

---

(٦٨) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٦/ ٣٩٥) (٢٣٢٦)، وحسنه، وأبو داود كما في عون المعبود (١٢/ ٢٥٩) (٤٦٣٣)، وأحمد (٥/ ٢٢٠) من حديث سفينة، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١٢٩) (٤٦٤٦).

(٦٩) أخرجه البخاري، كما في الفتح (١٣/ ٨٤) (٧١١٨)، ومسلم (٤/ ٢٢٢٨) (٢٩٠٢).

(٧٠) انظر: لسان العرب (٣/ ٤٤)، (١١/ ٦٣٩)، والقاموس المحيط (١٣٦٩).

(٧١) النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير ص (١١).

ومن التوافق أن أشاهد في هذا اليوم بعد كتابتي هذا الخبر، خبراً عن حرائق ضخمة في (استراليا) تأكل الغابات والجبال يطفؤونها بالطائرات، فأقول في نفسي ربما تكون لأجل عبث بشري أو سبب كوني، أما نار أرض الحجاز تلك فلشيء أراده الله، علّ نور دين محمد - عليه الصلاة والسلام - أن تضيء له القلوب كما أضاءت تلك النار أعناق الإبل ببصرى.

(٤) إخباره بأن: «**رعاة الإبل والغنم سيتطاولون في البنيان**»[٧٢]، وهم أولئك الذين كانوا يقطنون الصحراء غاية ما يسكنه أحدهم، خيمة ينام فيها، ها أنا أراهم بعيني في جزيرة العرب يتباهون في (الفلل) من الحجر والرخام، بل لقد رأيت بعيني طفلاً قد تقطعت نعاله في الصحراء يسوق قطيعاً من الغنم حتى وصل مع غروب الشمس إلى قريته، فأدخل الغنم إلى دارها، ودخل هو إلى داره التي بجانبها وكانت من دورين، وما علم الصغير أنه وغنمه يشهدان بصدق محمد - عليه الصلاة والسلام.

(٥) إخباره بـ«**ترك السعي على القلاص**»[٧٣] (وهي الإبل)، ومعناه ترك السفر على الجمال، وأدع الطائرة والقطار والسيارة لتحدثك بدلاً عني إذ أنها أبلغ مني تعبيراً.

(٦) إخباره بـ «**تقارب الزمان**»[٧٤] ومعناه: تقارب أهل الزمان حتى أضحى العالم اليوم كقرية واحدة بسبب وسائل (المواصلات) و(الاتصالات) و(الإعلام)

---

(٧٢) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ١٤٠) (٥٠) ومسلم (١/ ٣٩) (٩) من حديث أبي هريرة، ومسلم أيضاً (١/ ٣٦) (٨) من حديث عمر رضي الله عنه وغيرهم.

(٧٣) أخرجه مسلم (١/ ١٣٦) (١٥٥)، وأحمد في المسند (٢/ ٤٩٤)، وغيرهم.

(٧٤) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٣/ ١٦) (٧٠٦١)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٧) (١٥٧)، وابن ماجه (٢/ ١٣٤٥) (٤٠٥٢).

السريعة جداً، فينتقل الإنسان من غرب العالم لشرقه في ظرف ساعات معدودة، وكذا نقل الخبر يكون في ظرف لحظات[٧٥].

(٧) إخباره بـ «**تقارب الأسواق**»[٧٦]، وذلك بارتباط بعضها ببعض ارتفاعاً وانخفاضاً، وإمكانية التعامل (شراءً وبيعاً) معها بوسائل حديثة، كالهاتف، والفاكس، و(الإنترنت)، فمكنت لرجل في (مكة) أن يشتري سلعة من (واشنطن).

(٨) إخباره بـ «**ظهور الزنا، وشرب الخمور**»[٧٧]، ولم يفشو الزنا وينتشر وتشرب الخمور ويتفنن في أنواعها وتسميتها في زمن كهذا الزمان، فأنت ترى الفنادق والمطاعم والشركات، بل والدول ترعى هذا الجانب رعاية رسمية اقتصادية وقحة تنم عن انغماس هذا العالم في الشهوة والمادة، وأنه الآن بأمس الحاجة إلى نور هدي (محمد) - عليه الصلاة والسلام.

(٩) إخباره بكثرة «**الهرج**»[٧٣] وهو (القتل)، وكذلك «**موت الفجأة**»[٧٨] فليست الحروب الطاحنة وآلاتها المدمرة الحديثة إلا من هذا النوع، بل وما صنعه

---

(٧٥) انظر في هذا وما قبله وما بعده، (إتحاف الجماعة..) للتويجري (٢/ ١٩٥).

(٧٦) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٥١٩)، وقال الهيثمي كما في (مجمع الزوائد..) (٧/ ٣٣٠) (رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سمعان وهو ثقة)، وقال التويجري في (إتحاف الجماعة..) (٢/ ١٩٤) (ورواته ثقات. وقد رواه ابن حبان في صحيحه).

(٧٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ٢١٣) (٨٠)،ومسلم (٤/ ٢٠٥٦) (٢٦٧١).

(٧٨) أخرجه الطبراني في الصغير ص (٣٩٨) (١١٠٣) وقال: (لم يروه عن الشعبي إلا العباس بن ذريح ولا عنه إلا شريك. تفرد به عبد الكبير بن المعافى).

وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٨): (رواه الطبراني عن شيخه الهيثم بن خالد المصيصي وهو ضعيف). =

الإنسان يرجو نفعه فيعود عليه بالهلاك كوسائل النقل والمواصلات، وكذا حوادث التفجيرات هنا وهناك، وأعمال العنف، والانتحار، والأمراض الفتاكة، والنوبات القلبية، فيغادر الشخص من عندك سليماً معافى ويأتيك خبره في الغد أنه قد فارق الحياة.

إذن.. فالآمال طويلة، والآجال قصيرة، فمن الخطأ وضياع العمر أن يهيم الإنسان في أودية الدنيا بلا هدف!!

(١٠) إخباره بـ «**فشو القلم**»[٧٩]، ومعناه (ظهور القلم والعلم)، فهل رأيت تلك المطابع التي تطبع آلاف بل ملايين الصفحات من الكتب والمجلات والجرائد اليومية؟!

وهل تأملت فيما يكتب في مواقع الإنترنت باللغات المختلفة؟!

= وقال عنه العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٣٦٦) (٢٥٤٥): (وهذه الروايات بعضها يقوي بعضاً) ولذا حسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١٠٢٦) (٥٨٩٩)، والسلسلة الصحيحة (٥/ ٣٧٠) (٢٢٩٢).

ويشهد له واقع الناس اليوم.

(٧٩) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٠٧)، والحاكم بنحوه (٤/ ٤٤٥) ونسبه لأحمد والبزار الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٣٢): وقال: (رجال أحمد والبزار رجال الصحيح) وصحح إسناده: أحمد شاكر. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٢٥٠) (٦٤٧).

وجاء بنحوه مرفوعاً من حديث عمرو بن تغلب عند النسائي (٧/ ٢٤٤) (٤٤٥٦): "...وتفشو التجارة، ويظهر العلم.." بالعين بدل القاف ولكن عند أبي داود الطيالسي: "...أن يكثر التجار، ويظهر القلم".

كما أورد الألباني في السلسلة، ولا تعارض بين الروايتين فكلاهما مقبول، وظهور العلم لا ينافي الحديث الصحيح في ظهور الجهل، إذ المقصود بالعلم العلم بالقراءة والكتابة في أمور الدنيا، والجهل الجهل بأمور الدين والشريعة، أو أن هذا في زمن وهذا في زمن.

وهل خفيت عليك وسائل نشر العلم والمعرفة ومحو الأمية؟!

إن كل هذه الأشياء أخبرنا عنها محمد - عليه الصلاة والسلام - قبل أكثر من (١٤٠٠) ألف وأربعمائة سنة!!

والملاحظ.. أن بعض العبارات التي استعملها النبي - عليه الصلاة والسلام - عبارات لها مدلولها اللغوي في عقول ذلك الجيل الذي قيلت فيه، لكنهم لا يدركون حقيقتها تماماً، أما وقد وقعت فقد أبصر حقيقتها وعايشها الجيل الذي وقعت فيه.

وكان من خصائص محمد - عليه الصلاة والسلام - أنه أُعطي جوامع الكلم، بحيث تكون عبارته معدودة الكلمات غزيرة المعاني، ومن أمثلة ذلك ما ذكرنا من إخباره بـ (تقارب الزمان) و(تقارب الأسواق) و(ظهور القلم) وغير ذلك كثير.

- أظن أنه يدور في ذهنك الآن مجموعة من الأسئلة، بل لا أستبعد أنك تتمنى أن يرجع الزمان مئات السنين لتدخل بنفسك مدينة محمد - عليه الصلاة والسلام - متخفياً بلباس أهلها لتمكث بينهم!!

فترى، وتسمع، وتكتب، وتكتشف، ثم تعرف بعد ذلك صدق أو كذب ما يقوله الناس عن محمد - عليه الصلاة والسلام -!!

- كما أظن أنك لست محتاجاً أن تُسلم عقلك لأحد على حساب الحقيقة.
- لكن اسمح لي أن أكون فقط (المرشد) لهذه الرحلة، وأرجو أن أكون مرشداً أميناً، فإلى الرحلة...

٩- محمد يفتح المدينة مُستقبلاً بالفرح والنشيد:

لقد عجب العالم حين دخل الجيش الأمريكي العراق، كيف استقبله الشعب العراقي بالورود!!

لكن سرعان ما تحولت تلك الورود إلى قنابل يدوية، لأنه وببساطة يبدو أن الجيش الأمريكي نفسه، هو الذي دفع فاتورة تلك الورود!!

أما في: يوم الإثنين (الثالث والعشرين) من شهر (سبتمبر) من عام (٦٢٢م) الموافق: لـ (الثاني عشر) من شهر (ربيع الأول) من عام (١ هـ) فالأمر مختلف جداً.

فها هم الأنصار من أهل المدينة المنورة، ما إن سمعوا بخروج محمد - عليه الصلاة والسلام - من (مكة)، متوجهاً إليهم، إلا وكانوا يذهبون في كل صباح إلى الحرة - جهة القادم من مكة - فينتظرونه فما يردهم إلا حر الظهيرة.

فرجعوا يوماً بعد ما طال انتظارهم، فلما أووا إلى بيوتهم، إذ برجل من اليهود يصعد على مكان مرتفع لأمر يريده، إذ بعينيه تبصر من بعيد محمداً - عليه الصلاة والسلام - وأبو بكر رضي الله عنه قد لبسا ثياباً بيضاً، يلوح بهم السراب.

فلم يتمالك اليهودي نفسه أن صرخ بأعلى صوته: يا معاشر العرب، هذا صاحبكم الذي تنتظرون.

فيفزع أهل المدينة ويخرجون مسرعين، قد أنساهم الفرح حر الظهيرة فيستقبلونه بحرة المدينة، هو وصاحبه.

لا حرس، لا جيش، لا دبابات، لا طائرات، لا سلاح.

ولنمض مع التاريخ في أعظم صفحاته، وأروع حلقاته، وأخلد ذكرياته.

يستقبلونه والفرح يلفهم، والبشر يحفهم، والسكينة تتنزل عليهم، ويحيونه بتحية النبوة.

ويتجه بهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بجوار المدينة، فيجلس الرسول - عليه الصلاة والسلام - صامتاً، ويقوم أبو بكر رضي الله عنه على رأسه يظلله بردائه عن حر الشمس.

عندها عرف من لم يكن قد رأى الرسول - عليه الصلاة والسلام - من قبل أيهما رسول الله!!

ويلبث النبي - عليه الصلاة والسلام - في بني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة، أسس فيها مسجد قباء(٨٠).

حتى جاءه بنو النجار من أهل المدينة، فقالوا له ولصاحبه:

اركبا آمنين مطاعين، فركب نبي الله - عليه الصلاة والسلام - وأبو بكر وحفوا دونهما بالسلاح(٨١).

حتى إذا حل بديار بني النجار: خرجت جواريهم تضرب بالدفوف تنشد وتقول:

نحن جوار من بني النجار يا حبذا محمد من جار

فيقول محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**يعلم الله أن قلبي يحبكم**»(٨٢).

ويتسامع الناس في المدينة: جاء نبي الله، جاء نبي الله.

---

(٨٠) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٧/ ٢٨١-٢٨٢) (٣٩٠٦).

(٨١) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (٧/ ٢٩٤) (٣٩١١).

(٨٢) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦١٢) (١٨٩٩)، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٨٠٥) وقال في الزوائد: (إسناده صحيح ورجاله ثقات)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٢٠) (١٥٤١).

فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبي الله، فإذا به قد أقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب الأنصاري.

فقال نبي الله محمد - عليه الصلاة والسلام -: أي بيوت أهلنا أقرب؟

فقال: أبو أيوب: أنا يا نبي الله، هذه داري وهذا بابي.

فقال له: انطلق فهيئ لنا مقيلاً، فانطلق أبو أيوب فهيأ لهما مقيلاً.

ثم جاء إليهما فقال: قوما على بركة الله(٨٠).

وكانت دار أبي أيوب من طابقين، فينزل رسول الله - عليه الصلاة والسلام - في القسم الأسفل وأبو أيوب في القسم العلوي، فينتبه أبو أيوب ذات ليلة، فيقول: "نمشي فوق رأس رسول الله"؟! فتنحوا. فباتوا في جانب، وفي الصباح طلب من الرسول - عليه الصلاة والسلام - الانتقال إلى القسم العلوي، فقال الرسول - عليه الصلاة والسلام -: "السفل أرفق" ولكن أبا أيوب قال: "لا أعلو سقيفة أنت تحتها" فتحول النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى القسم العلوي، ونزل أبو أيوب إلى القسم السفلي.

وكان أبو أيوب يصنع للنبي طعاماً، فإذا عاد الطعام إلى أبي أيوب، تتبع موضع أصابعه وأكل منه.

فصنع له - ذات مرة - طعاماً فيه ثوم، فلما رُد إليه، سأل عن موضع أصابع رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فقيل له: لم يأكل. ففزع وصعد إليه. فقال: أحرام هو؟! فقال النبي - عليه الصلاة والسلام: «**لا، ولكني أكرهه**»، لأن النبي - عليه الصلاة والسلام - كانت تأتيه الملائكة، وهي تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم(٨٣).

---

(٨٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢٣) (٢٠٥٣).

في هذا الجو الملبد بالحب، المفعم بالطُهر، المرصع بأنوار الوحي، كان قدوم رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وفي خضم البهجة، وروعة الغبطة والسرور، وتتابع صور الرحمة والأمن والسلام!!

كان يهود المدينة يرقبون الأمر من قريب، فطبع العناد والاستعلاء قد حجب أعينهم، وأصم آذانهم.

إلا أن الله أراد أن يظهر صدق نبيه، وإصرار اليهود وغيرهم على جحد هذه (الحقيقة)، فكانت هذه القصة:

- (إسلام حبر جليل القدر من أحبار اليهود) -

كان من ولد يوسف بن يعقوب - عليهما الصلاة والسلام، وكان يَنشد الحقيقة غير مكترث بتأثير البيئة، فلما قدم محمد - عليه الصلاة والسلام - المدينة: سمع هذا الحبر اليهودي بذلك - وكان يعمل في نخلة - فترك ذلك وجاء للنبي - عليه الصلاة والسلام - والأفضل لي أن أقدمه لكم ليحدثكم فيقول:

لما قدم النبي - عليه الصلاة والسلام - المدينة، انجفل الناس عليه (أي: أقبلوا مسرعين)، وكنت فيمن انجفل، فلما رأيته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب، فكان أول شيء سمعته يقول: «**يا أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»(٨٤).

---

(٨٤) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٧/ ١٥٧) (٢٦٠٣)، وابن ماجه (١/ ٤٢٣) (١٣٣٤)، (٢/ ١٠٨٣) (٣٢٥١)، وأحمد (٥/ ٤٥١)، والدارمي (١/ ٣٤٠)، والحديث صحيح، وقد صححه الترمذي وشعيب الأرنؤوط في تحقيق (سير أعلام النبلاء) (٢/ ٤١٤)، وله شواهد أخرى.

بقيت أصداء تلك الكلمات تتردد بين عقل وروح ذلك الحبر، حتى أعادته للنبي - عليه الصلاة والسلام - مرة أخرى، لكنه أراد - هذه المرة - أن يخلو به ويتأكد - بما آتاه الله من علم - صدق ما جاء به هذا النبي!!

فجاء إليه، وقال:

إني سائلك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟

وما أول ما يأكل أهل الجنة؟ ومن أين يشبه الولد أباه وأمه؟

فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**خبرني بهن آنفاً جبريل**»، فقال الحبر: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول ما يأكله أهل الجنة، فزيادة كبد حوت، وأما الشبه، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**».

فقال الحبر: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك.

وقد علموا أني سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا فيَّ ما ليس فيَّ!!

فأرسل إليهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام، فأقبلوا فدخلوا عليه، وكان الحبر قد اختبأ وهو يسمع، فقال لهم رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «**يا معشر اليهود، اتقوا الله، فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا**». قالوا: ما نعلمه!!

ثم قال لهم: «**فأي رجلٍ فيكم (عبد الله بن سلام)؟**». قالوا: ذاك سيدنا، وابن سيدنا، وأعلمنا، وابن أعلمنا.

قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم.

قال: «**يابن سلام أخرج عليهم**»، فخرج عليهم وقال: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق. فقالوا: كذبت. أنت شرنا، وابن شرنا، وأخذوا يقعون فيه.

فأخرجهم النبي - عليه الصلاة والسلام، فقال (الحبر) (عبد الله بن سلام) رضي الله عنه: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله(٨٥).

وبهذا العطر الفاتن، الذي يسري بالحقائق في شوارع المدينة، ويطرق بالبراهين على أبوابها، تُفتح المدينة النبوية سلماً لا حرباً، ورغبة لا قسراً. لتمر الأيام والأعوام والأحقاب، وذكرى (الهجرة)، جديدة مشرقة، لا تبلى جدتها، ولا يضعف رواؤها ونورها، فقد كانت ولا تزال نشيداً عذباً في فم الإنسانية، ولحناً أخاذاً، تهتف به الأجيال، كلما ظمئت إلى نبع الحياة الكريمة، والمثل الرفيعة، والقيم العليا النبيلة(٨٦).

---

(٨٥) قصة عبد الله بن سلام مبثوثة في أحاديث في صحيح البخاري، انظر: الفتح (٦/ ٤١٧) (٣٣٢٩) وأطرافه، إلا ما خرجناه في حاشية رقم (٨٣) فهناك.

(٨٦) لم أذكر النشيد الشهير: طلع البدر علينا.. إلخ الأبيات، لأنه على شهرته، إلا أن ابن القيم قال كما في الزاد (٣/ ٥٥١) بعد ذكره أحداث غزوة تبوك: (وبعض الرواة يهم في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة، وهو وهم ظاهر، لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام) ا.هـ.

وقال ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٠٧) (٣٩٢٥): (وأخرج أبو سعيد في "شرف المصطفى" ورويناه في "فوائد الخلعي" من طريق عبيدالله عن عائشة منقطعاً... وهو سند معضل، ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك) ا.هـ. =

أتُرى مَنْ كان أول مدينة يفتحها، كان فتحه بهذا المستوى الرفيع من الأمان والسلام، والحب والوئام، مستقبلاً بالحفاوة والتكريم والإجلال.

أتراه، كان (عنيفاً)؟!، (إرهابياً)؟!، (سيفه لا ينزل من يدِه)؟!

لقد آن الأوان أن لا نكون أبواقاً لغيرنا، فالتاريخ ليس بأعمى، والطبيب الماهر قد تكون شفرته بيده أحياناً لنبش جرح متلوث، أو بتر عضو مسموم لو تُرك استشرى سمه للجسد!!

فهل يعد هذا الإجراء من الطبيب (إرهاباً) أو أنه (رحمة وعلاجاً) لذلك المريض المسكين.؟!!

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفوا الرسوم وتهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مُصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد[٨٧]

=

وانظر: كلام مهدي رزق الله في (السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية) ص (٢٨٥).

(٨٧) انظر: (تهذيب سيرة ابن هشام) لعبد السلام هارون ص (٣٠٨).

١٠- اعتـــــــذار:

لما مضى، ولما سيأتي.

إنك حين تكتب عن رئيس تولى فتألق، ستتناول الجوانب التي تميز بها عن كل من تولى رئاسةً، وحين تبحث عن رجل اجتماعي رحيم ستركز على حب الناس له ولماذا كان ذلك، وحين تقرأ عن حكيم ستجد كيف كان الناس يطيرون بكلامه فرحاً.

وهكذا جعل الله الناس مشارب ومذاهب، وكل ميسر لما خلق له.

كيف إذا ما اجتمع كل ذلك، وفوق ذلك، وأجل، في (شخص) واحد، فكان مثالاً للكمال البشري في كل شيء.

وبالرغم من ذلك أقحمني العناد العلمي أن أكتب عن محمد - عليه الصلاة والسلام، وأخوض ذلك البحر العظيم بسفينتي الصغيرة المتواضعة، لأجد ذلك البحر هادئاً، عظيماً، رائعاً، مليئاً بالأسرار!!

لكن ما الذي تمثله سفينتي وسط ذلك البحر الذي سحرني بزرقته وبهرني بروعته؟!

فليتك - الآن - تدلف إلى مكتبتي لترى كيف هي كتبي في كل مكان..، وجهاز (الحاسب الآلي) الذي بدا مستغرباً مني هذه الأيام!!

وأما زوجتي فتبتسم حين تحضر كوباً من الشاي، لأنها لا تجد له مكاناً.

مهلاً! ستتهمني بسوء الترتيب، وضعف التدبير.

لكنك ربما تعذرني حين تعلم عدد المؤلفات التي أُلفت في (محمد) - عليه الصلاة والسلام.

أما علماء المسلمين، العربي منهم وغير العربي، فذاك الذي لا يمكن عده، لذا رأى كل واحد منهم أن يتخصص في جانب من جوانب سيرته ليكتب فيه المجلدات.

وأما ما أُلف في سيرته بلغات أوروبا، ففي دراسة إحصائية قبل أكثر من تسعين سنة، أنها بلغت نحو ألف وثلاثمائة كتاب!

فكيف إذا أضفنا لذلك ما أُلف بلغات العالم المختلفة خلال التسعين سنة الأخيرة!!

ولذا يقول جون ديون بورت في كتابه (اعتذار عن محمد - عليه الصلاة والسلام - والقرآن) الذي صدر عام (١٨٧٠م):

"لا ريب أنه لا يوجد في الفاتحين والمشرعين والذين سنوا السنن، من يعرفُ الناس حياته وأحواله بالتفصيل، غير محمد - عليه الصلاة والسلام - وسيرته وأحواله".

ويقول ريون باسورت سميث الأستاذ في أكسفورد في إحدى محاضراته عن (محمد والمحمدية) التي نشرها عام (١٨٧٤م):

"لا نجد فيما كتبه المؤرخون عن محمد - عليه الصلاة والسلام - ورسالته أساطير ولا أوهاماً ولا مستحيلات، الأمر واضح وضوح النهار، وكأن الشمس أو الضحى يتبين تحت أشعة نورها كل شيء.

ومن عجب أنه لا توجد شخصية عالمية كُتب عنها طول العصور، ما كتب عن محمد - عليه الصلاة والسلام - ".

وفي كتاب (محمد) لمرجليوث الصادر عام (١٩٠٥م) في سلسلة عظماء الأمم:

"إن الذين كتبوا في سيرة محمد - عليه الصلاة والسلام - لا ينتهي ذكر أسمائهم، وإنهم يرون من الشرف للكاتب أن ينال المجد بتبوئه مجلساً بين الذين كتبوا في السيرة المحمدية".

وفي كتاب مايكل هارت (الخالدون مائة)، وبالرغم أن مؤلفه عالم فضاء، إلا أنه يجعل محمداً - عليه الصلاة والسلام - على رأس هؤلاء المائة(٨٨).

أظن أنك قد عذرتني الآن!!

كيف إذا ما علمت أن عمر محمد - عليه الصلاة والسلام - منذ أن قامت دولته حين دخل المدينة كان عشر سنين فقط!

والله لكأن كل واحدة منها عشر، فهي بالزمن عشر، وبالأعمال والسيرة والأخلاق مائة بل تزيد.

ولئن قلنا عن (القرآن الكريم) أنه كتاب الله المعجزة، فما جاء من سيرته بدا لي وكأنه معجزة.

لذا حين سُئلت زوجته عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله - عليه الصلاة والسلام - لم تتكلم بكلام طويل كثير، وإنما أجابت بإجابة الحاذقة الذكية بكلمتين، وهي التي كانت تشاهده: فقالت: «**كان خُلقه القرآن**»(٨٩).

فأحالت الناس إلى هذا القرآن، فقد كان يتمثله قولاً وسلوكاً.

وأما أنا فعذري، أن الفهم يقصر، والحبر يجف، وعمر الإنسان ينتهي، لكن شموس الحق لا تنقضي، فأتذكر وأنا في البحر: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾(٩٠).

فلا أملك إلا أن أقول: اللهم أقبل عذرنا في حبيبك محمد - عليه الصلاة والسلام.

---

(٨٨) انظر: فيما مضى من نقولات كتاب (أروع المشاهد من سيرة الرسول الأعظم) لمحمد خفاجي ص(٤٨-٥٠).

(٨٩) أخرجه مسلم (١/ ٥١٣) (٧٤٦)، وأبو داود كما في عون المعبود (٤/ ١٥٣) (١٣٣٨) والنسائي (٣/ ١٩٩) (١٦٠١)، وأحمد (٦/ ٥٤) من حديث سعد بن هشام عنها.

(٩٠) سورة الرعد، آية (١٧).

١١- صورة محمد - عليه الصلاة والسلام -:

كان العالم الغربي والأوربي وغيرهم ينقل حضارته وتاريخه - في بعض الحالات - عن طريق (الرسم والصورة)، فكان ذلك الرسم والتصوير له مدلولاته العميقة لديهم.

بينما كان البيان عند العرب (شعراً، ونثراً)، هو صحيفتهم التي بها يفاخرون، ولذا سُمي (الشعر) ديوان العرب!

حتى إن الشاعر ربما صور لك ما يريد، وكأنك تراه بعينك، بل كان من العرب من لا يعرف القراءة والكتابة، لكنه فصيح اللسان، ملهم البيان يقول الشعر ويتذوقه، وانظر - مثلاً - إلى ذلك الشاعر الأنصاري من أهل المدينة يصف محمداً - عليه الصلاة والسلام - ودعوته فيقول:

ثوى في قريش بضع عشرة حجةً ... يذكر لو يلقى حبيباً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه ... فلم يَرَ من يؤوي ولم يَرَ داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى ... وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وأصبح لا يخشى ظلامة ظالم ... بعيد ولا يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الأموال من حلِّ مالنا ... وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كُلِّهم ... جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا
ونعلم أن الله لا رب غيره ... وأن كتاب الله أصبح هاديا[٩١]

ومع كل هذا البيان كان بينهم محمد - عليه الصلاة والسلام - قد امتاز بكمال خلقه وخُلقه، مما جعل بيانهم يقف بإزاء ذلك بين العجز والاستدرار.

---

(٩١) انظر: الأبيات في زاد المعاد (٣/ ٥٩-٦٠).

فكان من أثر ذلك أن فاضت القلوب بإجلاله، وتفانت الرجال في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا ذلك لغيره، فالذين عاشروه أحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تطير جماجمهم وتندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر، وما لهذا الحب أن يكون لولا أن أنصبته من الكمال الذي يُعشق عادة لم يرزق بمثلها بشر.

وما كان الله - جل وتقدس - ليبعث خاتم أنبيائه ورسله إلا على الصورة البديعة، والحُسن الباهر، والجمال الذي تحار فيه العيون، مع عدم الافتتان به لمن رآه كما وقع لصويحبات يوسف - عليه الصلاة والسلام، وإنما نور الهيبة وجلالها، وسكينة الوقار ودثارها(٩٢).

ولا يخفى على أحد ما يؤثره ذلك على نفوس المدعوين من قبول الدعوة والسعادة بها. وأخبرنا محمد - عليه الصلاة والسلام - أن من رآه في المنام فقد رآه، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته(٩٣).

---

(٩٢) وفيما يتعلق بهيبته مع تواضعه جاء في سنن ابن ماجه (٢/ ١١٠١) (٣٣١٢): عن أبي مسعود، قال: أتى النبي ﷺ رجل، فكلمه فجعل ترعد فرائصه. فقال له: «هون عليك. فإني لست بملك. إنما أنا ابن امراة تأكل القديد». قال في الزوائد: (هذا إسناد صحيح ورجاله ثقات)، وأخرجه الحاكم (٣/ ٤٧-٤٨) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٣٢) (٢٦٧٧)، والسلسلة (٤/ ٤٩٦) (١٨٧٦).

(٩٣) جاء هذا في صحيح البخاري كما في الفتح (١/ ٢٤٤) (١١٠)، ومسلم (٤/ ١٧٧٥) (٢٢٦٦) من حديث أبي هريرة، وفي مسلم أيضاً (٤/ ١٧٧٦) (٢٢٦٨) من حديث جابر، وانظر شرح ابن حجر لذلك في الفتح (١٢/ ٣٩٩-٤٠٦) فهو نفيس.

- **كان محمـــد - عليه الصلاة والسلام -:**

ظاهر الوضاءة مشرق الوجه(٩٤).

كأن الشمس تجري في وجهه(٩٥).

يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر(٩٦).

كالشمس والقمر في الوضاءة والاستداره(٩٧).

---

(٩٤) هذا في حديث أم معبد المشهور، وقد أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢٣٠-٢٣١)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٢٦١) (٣٧٠٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٩-١٠) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) ثم ذكر دلائل صحة الحديث، ونسبه للطبراني الهيثمي في المجمع (٦/ ٦١)، وحسن هذا الحديث شعيب وعبد القادر الأرنؤوط في تحقيقهما للزاد (٣/ ٥٧)، وكذا مهدي رزق الله في كتابه (السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية) ص(٧٣٤)، وذكر أن له شواهد وهو كذلك، ولذا قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لشرح السنة: (حديث حسن قوي... وذكر له الحافظ ابن كثير طريقين آخرين في بدايته وقال: وقصة أم معبد مشهورة مروية من طرق يشد بعضها بعضاً).

(٩٥) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٩١) (٣٨٩٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٨٠) من حديث أبي هريرة، وفي إسناده ابن لهيعة، وقد تابعه عمرو بن الحارث عند البيهقي وابن عساكر كما أورد ذلك ابن كثير في البداية (٦/ ١٥).

(٩٦) جاء بهذا اللفظ في حديث هند بن أبي هالة، وقد أخرجه الترمذي في الشمائل ص(٣٤-٣٨) (٨)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٢٢)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٢٦٩) (٣٧٠٥)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ١٥٥) (٤١٤)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٦٤٠) ولم يسقه، والبيهقي في الدلائل (١/ ٢٨٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٧٦-٢٨١): (رواه الطبراني وفيه لم يسم) ولأجل ذلك ضعف إسناده الألباني في تحقيقه للشمائل، وكذا الجليمي، لكن لبعض ألفاظه شواهد، مثل ما جاء في تشبيهه بالقمر، فقد جاء ذلك في أحاديث في الصحيحين.

(٩٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٣) (٣٥٥٢) من حديث البراء، وأنه لم يكن كالسيف، ومسلم (٤/ ١٨٢٣) (٢٣٤٤) من حديث جابر بن سمرة.

إذا سُر استنار وجهه كأنه قطعة قمر[٩٨].

وسيم قسيم[٩٣] (ومعنى قسيم: قد أخذ كل موضع من وجهه قسماً من الجمال)[٩٩].

أزهر لون البشرة[١٠٠] (أي: أبيض مشرب بحمرة).

فلا هو بالأبيض الأمهق[٩٩] (الممجوج شديد البياض).

ولا الأحمر شديد الحمرة.

أشكل العين (أي: طويل شق العين)[١٠١].

أدعج العين[١٠٢] (شدة سواد العين مع سعتها).

---

(٩٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٣) (٣٥٥٦) من حديث كعب بن مالك.

(٩٩) انظر: النهاية لابن الأثير (٤/ ٦٣).

(١٠٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٢) (٣٥٤٧) من حديث أنس، وجاء بهذا اللفظ في حديث هند المتقدم حاشية رقم (٩٥)، وقد جمع ابن حجر في الفتح بين الروايات فقال (٦/ ٦٥٨): (... وإنما يخالط بياضه الحمرة، والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر، .. وتبين من مجموع الروايات أن المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض، وأن المراد بالبياض المثبت ما يخالطه الحمرة، والمنفي ما لا يخالطه، وهو الذي تكرهه العرب وتسميه أمهق..) ا. هـ. وانظر البداية (٦/ ١٣-١٦).

(١٠١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٢٠) (٢٣٣٩)، والترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٩٠) (٣٨٩١).

(١٠٢) جاء من حديث علي بن أبي طالب، وقد أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٨٢) (٣٨٨٢)، وهو في شمائله ص(٣٢) (٧)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤١٠)، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ٣٧٥) (٣٧٠٦) (٣٧٠٧)، وقال الترمذي: (ليس إسناده بمتصل)، وضعف إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لشرح السنة، وكذا الجليمي في تحقيقه للشمائل، لكنه جاء عدد من ألفاظه بأسانيد عن علي بن أبي طالب مفرقاً في مسند الإمام أحمد (١/ ٨٩، ٩٦، ٦٨٤، ٧٤٤، ٧٤٦) صححها أحمد شاكر في تحقيقه للمسند، ولفظة - هدب الأشفار - في الموضع الأول من المسند، وهي أيضاً في المسند (٢/ ٣٢٨) من حديث أبي هريرة، وفي حديث أم معبد السابق: في عينيه دعج وفي أشفاره وطف.

أهدب الأشفار[١٠١] (طويل شعر أهداب العين).

أكحل العينين، وليس بأكحل[١٠٣].

أزج الحواجب، سوابغ في غير قرن[٩٥].

(في حاجبيه تقوس، مع دقه في الشعر من غير اتصال بينها)[١٠٤].

أقنى العِرنين[٩٥] (أي: دقة الأنف مع ارتفاع في قصبته ودقة أرنبته)[١٠٥].

ضليع الفم[١٠٠] (أي: واسع الفم مع تحديد الشفتين، والعرب تمدح ذلك في الفصاحة، وتذم صغره المفرط)[١٠٦].

أفلج الثنيتين[١٠٧] (فرجة بين الثنايا، وهي الأربع أسنان الأمامية)[١٠٨].

أشنب[٩٥] (وهو بياض وبريق الأسنان مع رقة وتحديد فيها)[١٠٩].

إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه[١٠٦].

---

(١٠٣) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٨٩) (٣٨٨٩)، وأحمد (٥/ ٩٧) وقال الترمذي: (حسن صحيح غريب)، وفي حديث أم معبد (٩٣): قولها: أحور، أكحل.

(١٠٤) انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٢٩٦) و(٤/ ٥٤) وقال: (وهذا خلاف ما روت أم معبد، فإنها قالت في صفته "أزج أقرن" أي: مقرون الحواجب والأول الصحيح في صفته) ا.هـ.

(١٠٥) النهاية (٤/ ١١٦)، وانظر: مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٩) حديث هند.

(١٠٦) النهاية (٣/ ٩٦)، وانظر: مجمع الزوائد (٨/ ٢٧٩) حديث هند.

(١٠٧) أخرجه الترمذي في الشمائل ص (٤١) (١٥)، والطبراني في الأوسط والكبير (١١/ ٤١٦)، والبيهقي في الدلائل (١/ ٢١٥)، والدارمي في السنن (١/ ٣٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٨٢): (رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو ضعيف)، وفي حديث هند (٩٥): قوله: أشنب، مفلج الأسنان.

(١٠٨) النهاية (٣/ ٤٦٨).

(١٠٩) النهاية (٢/ ٥٠٣)، والمجمع (٨/ ٢٧٩).

إذا صمت علاه الوقار، وإن تكلم علاه البهاء.

حلو المنطق، فصل (بيِّن واضح)، لانزر ولا هذر، (ليس كلامه بالقليل ولا الكثير).

كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن من فمه.

شديد سواد الشعر[٩٣]، شعر رأسه يبلغ شحمة أذنيه[١١٠]، ليس بالجعد القطط[١١١] (الشديد الجعودة)[١١٢].

ولا بالسبط[١١٠] (المنبسط المسترسل)[١١١].

كث اللحية[١١٣] (أي: كثير أصولها وشعرها، لكنها غير طويلة ولا دقيقة)[١١٤] وهي سمة الأنبياء.

توفي وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء[٩٩].

جسمه لا بالطويل البائن ولا بالقصير[١١٥].

---

(١١٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٢) (٣٥٥١) من حديث البراء، وليس في الاختلاف في طول شعره تعارض، فكل راوٍ روى ما رأى في وقته، وقد حلقه في حجته كما هو معلوم.

(١١١) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٢) (٣٥٤٨)، وبنحوه مسلم (٤/ ١٨١٩) (٢٣٣٨).

(١١٢) النهاية (٢/ ٣٣٤).

(١١٣) كما في حديث هند المتقدم حاشية رقم (٩٥)، وجاء في صحيح مسلم (٤/ ١٨٢٣) (٢٣٤٤) من حديث جابر بن سمرة: وكان كثير شعر اللحية.

(١١٤) النهاية (٤/ ١٥٢).

(١١٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٢) (٣٥٤٩)، وانظر فيما ذكرنا من معنى الفتح (٦/ ٦٥٧) عند (ربعة من القوم)، وفي حديث علي (١٠١): ليس بالطويل الممغط، ولا بالقصير المتردد. وفي حديث أم معبد (٩٣): لا تقحمه عين من قصر، ولا تشنؤه من طول.

(أي: ليس بالطويل المفرط في الطول مع اضطراب في القامة ولا بالقصير وإن كان إلى الطول أقرب).

لم تعبه ثُجلة، ولم تزر به صُقلة[٩٣].

(أي: لم يكن بديناً ضخم البطن، ولا هو بالدقيق النحيل)[١١٦].

طويل العنق في اعتدال، كالفضة بحسنها وصفائها وبياضها[١١٧].

عريض الصدر، سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين[٩٥].

جليل المشاش والكتد[١٠١]، ضخم الكراديس[٩٥].

(أي: عظيم رؤوس العظام كالمرفقين والكتفين والركبتين)[١١٨].

شثن الكفين والقدمين[١١٩] (غلظ في أصابع الكفين والقدمين ويحمد ذلك في الرجال)[١٢٠].

لين الجلد، ناعم لكف حتى أن كفه ألين من الحرير والديباج[١٢١].

---

(١١٦) النهاية (١/ ٢٠٨)، (٣/ ٤٢)، وفي حديث علي: ولم يكن بالمطهم: وهو البادن كثير اللحم، وفي حديث هند: بادن متماسك: وهو المعتدل متماسك اللحم.

(١١٧) وهذا معنى ما جاء في حديث أم معبد (٩٣) مع حديث هند (٩٥)، حيث جاء في حديث هند: كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة.

(١١٨) النهاية (٤/ ٣٣٣)، والشمائل ص (٣٣، ٣٤، ٣٧).

(١١٩) بهذا اللفظ من حديث هند (٩٥)، وعلي (١٠١)، وفي البخاري كما في الفتح (١٠/ ٣٦٩) (٥٩٠٧): عن أنس: ضخم اليدين والقدمين.

(١٢٠) النهاية (٢/ ٤٤٤)، والشمائل ص (٣٤).

(١٢١) في صحيح البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٤) (٣٥٦١): من حديث أنس: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ.

منهوس العقبين[١٠٠]، خمصان الأخمصين[٩٥].

(قليل لحم كعبي القدمين، وأما ارتفاع باطن قدمه عن الأرض فهو بالقدر الحسن، فلا هو بالشديد الفاحش ولا هو بالملتصق بالأرض)[١٢٢].

مسيح القدمين ينبو عنهما الماء[٩٥].

(ملساوان، لينتان، لا يثبت عليهما الماء، وإنما ينحدر سريعاً لملاستها)[١٢٣].

إذا مشى كأنما ينحط من صبب[٩٥].

(كأنما ينزل من منحدر، لشدة سرعته وسعة خطاه خِلقةً، لا تكلفاً)[١٢٤].

إذا التفت التفت جميعاً[٩٥] (أي: بجسده كله).

أُعطي قوة ثلاثين رجلاً[١٢٥].

وهكذا جَمَعَت تلك الصفات بين الحسن والقوة من جهة، والطبيعة البشرية من جهة، لتناسب مقام (النبوة العظيم) و(الإنسانية المكرمة) ليكون قدوة للبشر، فهو من جنسهم.

وأما هذه الصفات الخلقية فليست هي موضع القدوة لأنها من الله، لا إرادة للبشر فيها، إذن فلندلف إلى مواضع القدوة في شخصيته، وتلك هي الأخرى يميزها حلاوة مذاقها، وشدة جاذبيتها.

---

(١٢٢) النهاية (٥/ ١٣٦)، (٢/ ٨٠)، والشمائل ص (٣٧).

(١٢٣) النهاية (٤/ ٣٢٧)، والشمائل ص(٣٧).

(١٢٤) الشمائل ص(٣٨).

(١٢٥) صحيح البخاري كما في الفتح (١/ ٤٤٩) (٢٦٨)، وعند غير البخاري قوة أربعين رجلاً، وذلك في البطش والجماع.

١٢- ما أبذَّ هيئة خويلة!!

يجد البعض صعوبة في اختيار الملابس التي تناسبهم وتناسب أطفالهم، على حين لا يكترث البعض الآخر، ويرى أن الحياة لا تستحق هذا التعقيد!! ولتوفر المال، والموروث الاجتماعي، والنظرة إلى الحياة، اتصالها بهذا الجانب.

وأنت حينما ترى الشخص قد أضاف إلى جمال مخبره، جمال مظهره وملبسه، واختار من الطيب ما يكون له سمة يعرف بها - في غير ما تكلف زائد، يقع - ذلك الشخص - من نفسك موقعاً ربما لا تنساه، والعكس بالعكس.

ومحمد - عليه الصلاة والسلام - كان التجمل والتزين شأنه وطريقته.

غير أنه لم يخرج عن عادة أهل بلده، فيأتي بألبسة جديدة لم تكن معهودة، مما يدل على أن أعراف الناس في كل مجتمع لها علاقتها الوطيدة بذلك.

لكنه وضع قواعد وضوابط يتحقق بها المقصود من الزينة والستر، وينتفي بها المحذور من التفاخر والعُري.

فكان محمد - عليه الصلاة والسلام - يحب أن يتجمل بالبرد اليماني، وهو من قطن يكون مخطوط بخطوط حمراء أو أحياناً خضراء أو غير ذلك، وكانوا يعدون ذلك اللباس من أشرف الألبسة لديهم.

حتى أن اسمها (الحِبَرَة)[١٢٦] مأخوذ من التحبير، وهو التزيين والتحسين.

---

(١٢٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٢٨٧) (٥٨١٢)، ومسلم (٣/ ١٦٤٨) (٢٠٧٩)، وانظر في معناها الفتح، وكذلك الشمائل وشرحها ص(٧٢) (٦٣).

وكان يحب القميص[١٢٧] لكمال ستره إذ هو أستر من الإزار والرداء، وكان يحب من الألوان البياض[١٢٨]، ربما لأنه أكثر الألبسة غسلاً وتطهيراً حيث يتضح عليه الوسخ سريعاً.

وكان يطهر ثيابه، فلا يتركها متلوثة، وقد أمره ربه بذلك[١٢٩].

ومرة صلى فلما أُخبر أن في نعليه قذراً خلعها وهو في الصلاة[١٣٠].

وكان ينتعل، ويقول: «**استكثروا من النعال، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل**»[١٣١]، ويكره أن تُلبس أحد النعلين وتترك الأخرى[١٣٢].

ويخبرنا بحبه للطيب والرائحة الزكية[١٣٣].

---

(١٢٧) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٥/ ٣٧٢) (١٨١٧-١٨١٩)، وشمائله ص(٦٧) (٥٥-٥٧)، وأبو داود كما في عون المعبود (١١/ ٤٧) (٤٠١٨-٤٠١٩) وابن ماجه (٢/ ١١٨٣) (٣٥٧٥)، من حديث أم سلمة وحسن إسناده محقق الشمائل.

(١٢٨) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٨/ ٧٦) (٢٩٦٢) وشمائله ص(٧٥) (٦٩) وابن ماجه (٢/ ١١٨١) (٣٥٦٧) من حديث سمرة بن جندب، وقال الترمذي: (حسن صحيح، وفي الباب عن ابن عباس وابن عمر).

(١٢٩) كما في سورة المدثر آية (٤): (وثيابك فطهر) وتشمل طهارة المخبر والمظهر.

(١٣٠) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٢/ ٢٤٩) (٦٤٦)، وأحمد (٣/ ٩٢) والدارمي (١/ ٣٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري.

(١٣١) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٦٠) (٢٠٩٦)، من حديث جابر.

(١٣٢) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٣٢٢) (٥٨٥٥)، ومسلم (٣/ ١٦٦٠) (٢٠٩٧) من حديث أبي هريرة.

(١٣٣) أخرجه النسائي (٧/ ٦١-٦٢) (٣٩٣٩)، وأحمد (٣/ ١٢٨) من حديث أنس.

وكان عنده نوع نادر عزيز يتطيب منه[١٣٤] وكانت زوجته (عائشة) رضي الله عنها: تطيبه بيدها بأحسن ما تجد[١٣٥].

وقال أحد أصحابه: وما شممت ريحاً قط، أطيب من ريح النبي - عليه الصلاة والسلام - [١٢٠].

وقال آخر: مسح رسول الله - عليه الصلاة والسلام - خدِّي، فوجدت ليده ريحاً كأنما أخرجها من جونة عطار[١٣٦]. (والجونة: الوعاء الذي يُعد فيه العطار الطيب ثم يستخرجه).

لعلك أدركت الآن خطأ البعض على - (محمد) و(الإسلام) - حين يظن أن واحداً منهما يدعو إلى أن تكون الثياب رثة، أو المظهر منفراً.

وحين قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، ظن البعض أن التجمل قد يكون أحد أنواعه، فقال رجلٌ يا رسول الله: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً. فقال: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق (أي: رد الحق)، وغمط الناس**» (أي: احتقار الناس)[١٣٧].

وهكذا جعل النبي - عليه الصلاة والسلام - حداً فاصلاً واضحاً بين التكبر الذي يكرهه الله، والتجمل الذي يحبه الله.

---

(١٣٤) أخره أبو داود كما في عون المعبود (١١/ ١٤٧) (٤١٥٦)، والترمذي في الشمائل ص(١٧٨) (٢١٧)، من حديث أنس: كان لرسول الله ﷺ سُكة يتطيب منها، وقيل في معناها: نوع عزيز من الطيب. وصحح إسناد الحديث محقق الشمائل.

(١٣٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٣٧٩) (٥٩٢٣).

(١٣٦) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١٤) (٢٣٢٩) من حديث جابر بن سمرة.

(١٣٧) أخرجه مسلم (١/ ٩٣) (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود.

وأما (الزوجين) فلهما شأن آخر عند محمد - عليه الصلاة والسلام - هو أكثر أهمية، وأوضح آكدية، فكلٌ منهما يتجمل للآخر بما يعلم من حاله أنه يحبه.

تقول عائشة زوجة النبي - عليه الصلاة والسلام -: دَخلتْ عليَّ خويلة بنت حكيم وكانت زوجة عثمان بن مظعون، قالت: فرأى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بذاذة هيئتها. فقال: يا عائشة، ما أبذ هيئة خويلة. قالت: فقلت: يا رسول الله، امرأة لا زوج لها، يصوم النهار ويقوم الليل يصلي، فهي كمن لا زوج لها، فتركت نفسها وأضاعتها، قالت: فبعث رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلى زوجها عثمان بن مظعون فجاءه. فقال: يا عثمان أرغبةً عن سنتي! فقال: لا والله يا رسول الله، ولكن سُنتك أطلب، قال: «**فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً**»(١٣٨).

فنرى هنا، كيف أن الرسول الكريم وجه هذا الصحابي الجليل بأن لزوجته حق في التجمل لها، والاهتمام بشأنها، كي تبادله هي نفس الاهتمام، فإن لهن مثل الذي عليهن بالمعروف.

ألا ما أجملك يا رسول الله، وأجمل مظهرك، وأجمل تعاليمك!!

---

(١٣٨) أخرجه أحمد (٦ / ٢٦٨)، وعبد الرزاق في المصنف (٦/ ٢٦٨) (١٠٣٧٥) وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد، وأصله عند أبي داود كما في عون المعبود (٤/ ١٦٩) (١٣٦٦)، وقد صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٧٦) (١٣٦٩).

١٣- أذكرها لأطباء الأسنان:

أعتقد أني لا أكون مبالغاً حين أقول: لم يعرف التاريخ على مر عصوره ديناً يأمر بالنظافة الاجتماعية والفردية كدين محمد - عليه الصلاة والسلام.

فها هو يذكر لنا أن رجلاً أزال غصن شوكٍ في طريق الناس كان يؤذيهم، فغفر الله له وأدخله الجنة[١٣٩].

وهذا يدل على أن كل ما يؤذي الناس في الأماكن العامة وطرقاتهم فلابد من إزالته، بل قال لنا بالحرف الواحد: «**أعطوا الطريق حقه**»، ثم يذكر حق الطريق، ومنه: «... **كف الأذى**...»[١٤٠] بكل صور الأذى الحسي واللفظي والمعنوي.

بل يُحرم علينا أذية الناس حتى في أدق الأشياء كالروائح الكريهة، فبالرغم أن الصلاة في المسجد لها فضل كبير، إلا أنه يحرم على من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أن يقرب المسجد[١٤١]، وبهذا نعلم أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - حافظ حتى على أذواق الناس!!

كما يحثنا على تنظيف أفنية الدور، ويعيب على الذين يهملونها[١٤٢].

---

(١٣٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ١٦٣) (٦٥٢)، ومسلم (٣/ ١٥٢١) (١٩١٤).

(١٤٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (١١/ ١٠) (٦٢٢٩)، ومسلم (٣/ ١٩٧٥) (٢١٢١).

(١٤١) أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ٣٩٥) (٨٥٥)، ومسلم (١/ ٣٩٥) (٥٦٤).

(١٤٢) أخرج الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٨/ ٦٧) (٢٩٥١) حديث: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة.. فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود ..»، لكن في إسناده خالد بن إلياس، وهو متروك الحديث، لكن جاء عند الطبراني في الأوسط عن سعد مرفوعاً: «طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تطهر أفنيتها»، وهذا الأخير حسنه الألباني كما في صحيح الجامع (٢/ ٧٣٠) (٣٩٣٥)، وأورده في السلسلة الصحيحة (١/ ٤١٨) (٢٣٦)، وكذا حسنه الأرنؤوطان في تحقيقهما للزاد (٤/ ٢٧٩).

فإذا كان هذا في أفنية الدور، فما بالك بداخلها، لابد أنه أجدر وأولى.

أما نظافة الفرد، فيحدد له يوماً في الأسبوع - على الأقل - يغتسل فيه، ألا وهو يوم الجمعة[١٤٣]، حيث سيجتمع فيه الناس لاستماع الخطبة والصلاة، ولشعور الناس احتراماً عند محمد - عليه الصلاة والسلام.

بل إنه قد يُوجب هذا الاغتسال في حق من تكون لهم روائح كريهة، كالعمال ونحوهم[١٤٤].

ويُرغب في الوضوء[١٤٥] - وهو غسل اليدين والوجه ومسح الرأس وغسل الرجلين وربما مسحهما لمن كان عليه جوربين، ويوجب ذلك عند إراد الصلاة[١٤٦].

لكي يجتمع للإنسان طهارة البدن الظاهر بالوضوء، وطهارة القلب الباطن بالصلاة التي تكون بالطبع لله وحده لا شريك له.

ومن العجيب: أنني قرأت مرة لأحد المختصين بصحة الإنسان، أن الإنسان إذا كان يسير بسيارته في سفر طويل فعليه أن يتوقف بعد عدد من الساعات ليعمل بعض التمارين المحركة للعضلات، كانت تلك التمارين تشبه - إلى حد كبير - حركات المسلمين في صلاتهم.

---

(١٤٣) أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ٤٠١) (٨٥٨)، ومسلم (٢/ ٥٨١) (٨٤٧) عن أبي سعيد، وفي التحديد بسبعة أيام في الصحيح عن أبي هريرة مرفوعاً.

(١٤٤) انظر: حديث عائشة في البخاري كما في الفتح (٢/ ٤٤٧) (٩٠٢) ومسلم (٢/ ٥٨١) (٨٤٦).

(١٤٥) كحديث: «.. إسباغ الوضوء على المكاره..» في صحيح مسلم (١/ ٢١٩) (٢٥١) وغيره.

(١٤٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ٢٨٢) (١٣٥)، ومسلم (١/ ٢٠٤) (٢٢٥).

وأما الأشياء المرغوب في إزالتها: كشعر الإبط، وشعر العانة، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، فيجعل لها أربعين يوماً[١٤٧] كحد أقصى، لا يجوز تجاوزه.

وهكذا نرى ترتيب ما يتعلق ببدن الإنسان بهذه الطريقة الراقية، فيحدد بالأربعين يوماً، وبالأسبوع، وباليوم، فكلٌ من هذه وما يناسبه من وقت.

وربما تكون عندما تدعو إليها الحاجة.

وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يُرجل شعره (يمشطه) مبتدأً بالجزء الأيمن ثم الأيسر[١٤٨]، فهو يعتني به كما ترى، غير أنه ينهى عن المبالغة والتشدد في ذلك إلى درجة الغرور والإعجاب بالنفس[١٤٩].

ويؤكد على المرأة - مثلاً - أن تمشط شعرها، وتحلق عانتها، وتتهيأ لزوجها، خاصة إذا انقطع عنها الزوج فترة من الزمن، كأن يكون مسافراً فتعلم بقدومه[١٥٠].

وبالهدي المحمدي نقلص خسائرنا من جراء زياراتنا لعيادة الأسنان، وذلك بالعناية بأسناننا منذ وقت مبكر من العمر[١٥١].

---

(١٤٧) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٢) (٢٥٨).

(١٤٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٣٨١) (٥٩٢٦)، ومسلم (١/ ٢٢٦) (٢٦٨).

(١٤٩) وذلك لما جاء من حديث عبد الله بن مغفل وغيره: قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الترجل إلا غباً». أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٥/ ٣٦٣) (١٨٠٩) وفي شمائله (٥٣) (٣٥)، وأبو داود كما في عون المعبود (١١/ ١٤٤) (٤١٥٣)، والنسائي (٨/ ١٣٢) (٥٠٥٥)، والحديث صحيح. وانظر: تحقيق الشمائل للجليمي، وشرح الحديث.

(١٥٠) وهذا مفهوم الحديث: «.. كي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة..» وهو عند البخاري كما في الفتح (٩/ ٢٤) (٥٠٧٩)، ومسلم (٣/ ١٥٢٧) (٧١٥).

(١٥١) يقول النووي: يستحب أن يعود الصبي السواك ليعتاده. شرح مسلم (٣/ ١٤٣).

فقبل أكثر من (١٤٢٠) عاماً، يُكثر[١٥٢] علينا محمد - عليه الصلاة والسلام، بإجراء تكون به طهارة الفم والأسنان، ألا وهو (السواك)، بل كاد أن يجعل ذلك واجباً علينا نعمله خمس مرات لولا رحمته بنا، وأنه خشي المشقة علينا[١٥٣].

ويرغبنا في ذلك فيقول: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[١٥٤].

ويذكر ابن الملقن من علماء المسلمين: أنه قد ورد في السواك أكثر من مائة حديث عن محمد - عليه الصلاة والسلام - [١٥٥].

وتتحقق فضيلة السواك بكل آلة تزيل ما يَعْلق بالأسنان وتُطِّهر الفم، بشرط أن لا توقع ضرراً صحياً، كأن تكون من شجرة سامة - مثلاً، ولذا ففرشاة الأسنان المستخدمة اليوم داخلة في الفضيلة.

وكان محمد - عليه الصلاة والسلام - يستاك بعود الأراك[١٥٦]، وهو جذور شجرة الأراك: (Thooth Brush Tree Salvadora Persica)، وهي شجيرة تنمو في الأماكن الحارة والاستوائية، وتكثر عادة في أودية الصحاري، وتوجد في المملكة العربية السعودية.

---

(١٥٢) «أكثرت عليكم في السواك» أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ٤٣٥) (٨٨٨).

(١٥٣) «لولا أن أشق على أمتي، لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ٤٣٥) (٨٨٧) ومسلم (١/ ٢٢٠) (٢٥٢).

(١٥٤) أخرجه البخاري تعليقاً كما في الفتح (٤/ ١٨٧)، ووصله أحمد (٦/ ٤٧)، والنسائي (١/ ١٠) (٥)، والدارمي (١/ ١٧٤)، عن عائشة مرفوعاً، بأسانيد متعددة، وهو حديث صحيح.

(١٥٥) كما نقله عنه الأمير الصنعاني في سبل السلام (١/ ٥٩).

(١٥٦) لورود بعض الأحاديث بذلك، وشهرة الأراك عند الصحابة، وفي مسلم (١/ ١٢٢) (١٣٧): «وإن قضيباً من أراك»، ووجود الشجرة في الجزيرة العربية، واستفاضة ذلك عند المسلمين.

وقد جاء في بحث للأستاذ الدكتور عبد الرحيم محمد (كلية طب الأسنان جامعة الملك سعود بالرياض)، والأستاذ الدكتور جيمس ترنر (James Turner) (كلية الطب بجامعة تينسي بالولايات المتحدة)، والمنشور في مجلة طب الفم والأسنان الاستوائية: أن مسواك الآراك المستخدم في السعودية وغيرها (Persica Salvadora) يحتوي على مواد مطهرة وقاتلة للميكروبات، أهمها الكبريت ومادة سيستو ستيرول (ب) (Sisto Sterol B). كما يحتوي المسواك على مادة منظفة للأسنان (Dentifrice) هي بيكربونات الصودا. ويحتوي عود الأراك على مواد مضادة للالتهاب ومضادة للتسوس، كما ذكر ذلك براون وجاكوب (يعقوب) في بحثهما عن السواك، وقد أكدا وجود مواد قاتلة للميكروبات.

وأوضح عبد الرحيم محمد وجيمس ترنر: أن لحاء وخشب عود الأراك المقطوع حديثاً لا يوجد فيه مواد ضارة بالخلايا، ولكن إذا ترك الجزء المستعمل لأربعة وعشرين ساعة فإنه يحتوي على مواد ضارة للخلايا (Cytotoxic). ولذا فإن الباحثين ينصحان بقطع الجزء المستعمل كل (٢٤) ساعة على الأكثر[١٥٧].

الله أكبر. ﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[١٥٨].

ولا زال محمد - عليه الصلاة والسلام - يؤكد لنا السواك عند الوضوء، وعند الصلاة، وعند قراءة القرآن، وعند القيام من الليل، وعند تغير رائحة الفم، وعند دخوله المنزل.

---

(١٥٧) من كتاب (السواك) للدكتور. محمد علي البار. ص(١٤٧) (١٥٦-١٥٧).

(١٥٨) سورة سبأ، آية (٤٦).

نعم! عند دخوله المنزل[١٥٩]، فلربما قابلت الرجل زوجته فأصاب منها قُبلة، فلتكن بفم مطيب مطهر!!

ألا ما أبهى تلك التدابير النظيفة، لمجتمع محمدي تملأ جنباته الطهارة، يرافقها في كل حين ذوق رفيع.

(١٥٩) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٠) (٢٥٣).

١٤- تميمة القرظيه تضحك خير البرية:

تساعدك على تخطي الأزمات، تجعل قلبك منفتحاً على كل من حولك، تزيل كثيراً من الحدة والجفاء، تريح قلبك، وتجعله أقل اكتراثاً بالمشكلات المتكررة.

كما تجعلك أكثر قبولاً لدى الآخرين، فهم يرونك مثلاً لـ (السعادة).

أرأيت هذا الفعل السحري!! إنه ليس لعملية معقدة، ولا لمهمة متعسرة ولا لعقاقير نخشى ضررها.

وإنما يكون هذا السحر الحلال بتحريك شفتيك ملمترات بسيطة (مبتسماً)، ألا ما أكثر تعقيد هذه المعادلة عند بعض بني الإنسان!! وكأنها لديهم من السهل الممتنع!!

لقد عملتُ معلماً في عدة مدارس، فلم أرى مديراً حقق ما يريد مع موظفيه، مثل مديرٍ أسر قلوبهم بـ (البسمة) فأذعنت له، فهي رهن إشارته وطوع أمره، ولا تقل كما يقول الحمقى: إنها تُسقط هيبتي وتدوس كرامتي.

ألا فليعلم العالم أن ثغر محمد - عليه الصلاة والسلام - يعطينا مدرسة متكاملة بجمال الحياة، من خلال البسمة الصادقة التي ترسمها شفتاه، لتغرد بالدنيا وأهلها لتقول لهم: إياكم والغضب، إياكم وتقطيب الجبين، إياكم أن تُنهِكَ أجسادكم الهموم، وتأكل عقولكم الغموم. ابتسموا. ابتسموا كما كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يبتسم.

فقد كان موصوفاً بأنه دائم البشر[٩٥]، كثير التبسم.

حتى قال عبد الله بن الحارث - أحد أصحابه -: ما رأيتُ أحداً أكثر تبسماً من رسول الله - عليه الصلاة والسلام[١٦٠].

وقال جرير بن عبد الله - أحد أصحابه أيضاً -: ما رآني رسول الله - عليه الصلاة والسلام - إلا تبسم في وجهي[١٦١].

رائع ما تذكره يا جرير! تراه في السوق فيبتسم، تراه في الطريق فيبتسم، تراه في المسجد فيبتسم، تراه في الدار فيبتسم!

أجل! ولقد قال لي أحد أصدقائي يوماً: إني أُحب الأشخاص الذين يكثرون من التبسم، لكني لا أستطيع صنيعهم، فقلت له: إنهم يحبون ما تحب، وإنهم يتصدقون عليك في كل مرة تراهم، أما أنت فبخيل طماع لا تتصدق عليهم!

أفلا تعتب على نفسك؟! فقال: لم أفهم بالتحديد ما تعني.

فقلت له: إن محمداً - عليه الصلاة والسلام - يقول: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**»[١٦٢] فشبه محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - البسمة بالصدقة، فالمتصدق ينال الأجر لإحسانه بالفقير، والمبتسم ينال الأجر لإحسانه بمن ابتسم في وجهه.

---

(١٦٠) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٨٦) (٣٨٨٥)،وشمائله ص(١٨٦) (٢٢٨) وأحمد (٤/ ١٩٠) وفي سنده ابن لهيعة، ولكن للحديث شواهد، منها حديث جرير وسيأتي، وحديث أبي الدرداء عند أحمد (٥/ ١٩٩) قال: «كان رسول الله لا يحدث بحديث إلا تبسم»، ولذا حسن الحديث محقق الشمائل.

(١٦١) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ١٨٧) (٣٠٣٥)، ومسلم (٤/ ١٩٢٥) (٢٤٧٥).

(١٦٢) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٦/ ٧٥) (٢٠٢٢) وقال: (حسن غريب) وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١/ ٣٤٨) (٤٧٤) وأيضاً (١/ ٣٧٢) (٥٣٠) من حديث أبي ذر، وجاء عند مسلم (٤/ ٢٠٢٦) (٢٦٢٦): «لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»، وفي =

فلما كان من الغد: رأيت هذا الرجل وهو يضحك، ويقول: لقد نفعني إرشادك.

فقلت: وما ذاك؟ قال: لقد أحسست بأني رجل (ثري) بالبسمة، والناس من حولي فقراء محتاجون إليها.

فقلتُ له: ليس هذا إرشادي، وإنما هو إرشاد محمد - عليه الصلاة والسلام.

حُق للمسلمين أن يأسر قلوبهم محمد - عليه الصلاة والسلام، فلقد كانوا يتناشدون الشعر عنده، ويذكرون أشياء من أمور الجاهلية فيضحكون، ويتبسم[١٦٣].

و(التبسم) مبادئ الضحك ويكون بلا صوت، و(الضحك) انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من السرور، فإن كان بصوت بحيث يسمع من بُعد فهو (القهقهة) وإلا فهو الضحك[١٦٤].

والقهقهة لم تقع منه - عليه الصلاة والسلام - لأنها تنافي مقام (النبوة).

وأما التبسم فلقد علمت أنه لا يكاد يفارق محياه.

وأما (الضحك) حتى تبدو الأسنان، فيقع منه أحياناً، وهل سمعتم خبر (الرجل) الذي ضحك منه النبي - عليه الصلاة والسلام - حتى بدت نواجذه؟!

قال محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبواً، فيقول الله تبارك وتعالى له:**

= مسلم أيضاً (٢/ ٦٩٧) (١٠٠٥): «كل معروف صدقة»، فإذا كان التبسم وطلاقة الوجه من المعروف فهو صدقة إذن!!

(١٦٣) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٣) (٦٧٠)، والترمذي كما في تحفة الأحوذي (٨/ ١١٥) (٣٠٠٨) وقال: (حسن صحيح)، وشمائله ص(٢٠٤) (٢٤٨)، والنسائي (٣/ ٨٠) (١٣٥٨) وأحمد (٥/ ٨٦، ٨٨، ٩١).

(١٦٤) انظر: فتح الباري (١٠/ ٥٢٠).

اذهب فادخل الجنة. فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى. فيرجع فيقول: يارب!

وجدتها ملأى. فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدُنيا وعشرة أمثالها. فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟!».

قال عبد الله بن مسعود - الذي روى الخبر عن الرسول عليه الصلاة والسلام -: فلقد رأيت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ضحك حتى بدت نواجذه!! (أي الأسنان والأنياب).

فكان يقال: ذاك أدنى أهل الجنة منزلةً[١٦٥].

ومن عجيب هذا النبي الرحمة أنه ضحك في وجه رجل فظ غليظ، قد آذاه في جسده، وكأنه يعلمه ويربيه، أن كان ماذا لو طلبت ما طلبت وأنت تبتسم؟!

فلقد كان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يمشي ذات مرة، وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية (أي: رداء صنع في نجران البلد المعروف بين الحجاز واليمن، وكان الرداء طرفه غليظ) فأدركه أعرابي فجبذه برادئه جبذة شديدة، حتى أثرت حاشية البرد على صفحة عاتق النبي - عليه الصلاة والسلام - ثم قال: يا محمد، مر لي من مال الله الذي عندك، فما نهره النبي - عليه الصلاة والسلام - وما وبخه، وإنما ضحك في وجهه، ثم أمر له بعطاء[١٦٦].

إن محمداً - عليه الصلاة والسلام - يريد أن يعلمنا، أن العنف لا يذيب جليده إلا الحلم، وأن الحُمق والغضب لا يُعالج إلا بسعة الصدر والتأني، وأن الرجل مع الفضاضة يتصرف تصرفاً أهوج، بينما هو مع الرفق يتصرف بحكمة.

---

(١٦٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (١١/ ٤٢٦) (٦٥٧١)، ومسلم (١/ ١٧٣) (١٨٦) واللفظ له.

(١٦٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٢٨٧) (٥٨٠٩).

وهل سمعتم قصة (المرأة) التي تبسم الرسول - عليه الصلاة والسلام - من حديثها؟!

إنها تميمة القُرظية زوجة رفاعة القُرظي، لقد طلقها - رفاعة - طلاقاً بائناً لا رجعة فيه، فتزوجها بعده عبد الرحمن بن الزبير، فجاءت تشتكي زوجها الثاني.

فقالت: يا رسول الله، إني كنت عند رفاعة فطلقني ثلاث تطليقات، فتزوجني بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل هذه الهدبة - لهدبة أخذتها من جلبابها - (أرادت أن ذَكَرَهُ يشبه الهدبة في الاسترخاء وعدم الانتصاب) وإنه لم يقربني إلا هنةً واحدة، لم يصل مني إلى شيء؟!

وكان أبو بكر جالساً عند النبي - عليه الصلاة والسلام، وخالد بن سعيد بن العاص جالس بباب الحجرة ليؤذن له، فطفق خالد ينادي: يا أبا بكر، ألا تزجر هذه عما تجهر به عند رسول الله - عليه الصلاة والسلام -؟! ورسول الله عليه الصلاة والسلام - لا يزيد على التبسم، ثم يجيبها ويقول:

«لعلك تريدين أن ترجعي إلى رفاعة! لا. حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»[١٦٧].

(أي: حتى تذوقي حلاوة الجماع من زوجك الثاني، ويذوقها هو منك)، لأنه ربما عرض للرجل ما يضعفه فترة من الزمن، ثم يعود.

لا زلنا في دار محمد - عليه الصلاة والسلام - لن نخرج منها إلا وقد ارتسمت البسمة على شفاهكم!

---

(١٦٧) أخرجه البخاري في مواضع انظرها مع الشرح في الفتح (٩/ ٢٨٤، ٣٧٤) (٥٢٥٦) (٥٣١٧)، (١٠/ ٥١٨) (٦٠٨٤)، ومسلم (٢/ ١٠٥٥) (١٤٣٣).

يُقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو الصحابي المعروف بقوته في الحق، فيطرق باب النبي - عليه الصلاة والسلام - مستأذناً، وعند رسول الله نسوةً يسألنه ويستكثرن عاليةً أصواتُهن على صوته؟!

فما هو إلا أن سمعنَّ صوت عمر حتى تبادرن الحجاب! فأذن النبي - عليه الصلاة والسلام - لعمر، فدخل والنبي - عليه الصلاة والسلام - يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي!! فقال: عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنَّ عندي، لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب، فقال: أنت أحق أن يهبن يا رسول الله.

ثم أقبل عمر عليهن فقال: يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولم تهبن رسول الله - عليه الصلاة والسلام -؟ فقلن: إنك أفظُ وأغلظ من رسول الله.

فقال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «**إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجِّك**»(١٦٨).

ألا ما أروع هذا البيت المحمدي، الذي تخرج من بابه البسمة المشرقة، لتطيف بالطرقات، والأسواق، والدور، والمساجد، لتعود إليه - مرة أخرى - وقد تعلقت بها القلوب، وعشقتها العيون.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(١٦٩).

فرحماك ربي رحماك، بقوم أضاعوا سبيل محمد - عليه الصلاة والسلام - بتقطيب الجبين!!

---

(١٦٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٥١٨) (٦٠٨٥)، ومسلم (٤/ ١٨٦٣) (٢٣٩٦).

(١٦٩) سورة آل عمران، آية (١٥٩).

١٥- من يشتري هذا العبد؟!

كنت أتحدث مع صديق لي عن سبب نفور الناس من شخص ما، وعدم رغبتهم في الجلوس معه، فاتفقنا على أن سلاطة اللسان، وجرح المشاعر، وعدم الاحترام، والتقليل من شأن الآخرين، من أعظم الأسباب التي تجلب الوحشة والفرار من هذا الإنسان، ولذا قال محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**إن شر الناس، من تركه الناس اتقاء فحشه**»(١٧٠).

وعلى العكس من ذلك: فاحترام الناس وآرائهم، والتلطف معهم، والانبساط إليهم، وإشعارهم بالحب، من أعظم الأسباب الجالبة للمودة، والاقتراب من هذا الإنسان، ولذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره بحبه إياه**»(١٧١)؛ لأن ذلك الجسر من الحب يزيد متانة ورسوخاً عندما يشعر به الطرفان.

وهناك شيء رائع في الحياة يضفي عليها جمالاً، ويجعلها تبدو أكثر أُنساً، ويطرد عنها الملل والسآمة! فتظهر في كل مرة بحلة جديدة!!

حتماً ستعرف ذلك بنفسك من خلال الأسطر التالية:

يدخل محمد - عليه الصلاة والسلام - السوق، فيجد رجلاً يعرفه ويحبه، وكان هذا الرجل جالساً يبيع متاعاً له، وكان رجلاً دميماً، ولم يشعر بدخول النبي - عليه

---

(١٧٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٦٧) (٦٠٣٢)، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢) (٢٥٩١).

(١٧١) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٧/ ٦٠) (٢٥٠٢)، وأبو داود في سننه (٤/ ٣٣٢) (١٥٢٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠) وقال الترمذي: (حسن صحيح غريب)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٥٩) (٥١٢٤).

الصلاة والسلام - فيأتيه النبي - عليه الصلاة والسلام - خفية من خلفه وهو لا يبصره، فيحتضنه!!

فجعل الرجل يقول: من هذا؟! أتركني. أرسلني، فالتفت فلما عرف أنه النبي - عليه الصلاة والسلام - جعل يلصق ظهره بصدر النبي - عليه الصلاة والسلام، وجعل الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول: من يشتري هذا العبد؟!

(والرجل ليس عبداً، وكان العبيد والإماء يباعون، ولكنه عبد لله)، والرجل يقول: يا رسول الله: إذن تجدني كاسداً. فيقول له النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**لكنك عند الله لست بكاسد**»[١٧٢].

نعم! إنه (المزاح والمرح) البريء، فكان ذلك من شخصية محمد - عليه الصلاة والسلام، غير أنه كان لا يقول إلا حقاً[١٧٣].

لماذا يمزح النبي - عليه الصلاة والسلام - مع هذا الرجل الدميم؟! وكيف انتهت جولة المزاح هذه؟!

---

(١٧٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٦١)، وعبد الرزاق في المصنف (١٠/ ٤٥٤) (١٩٦٨٨)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٤١٩) (٢١١٧٢)، والترمذي في شمائله ص (١٩٦) (٢٤٠)، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٧٢): (رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح)، وصحح الحديث ابن حجر كما في الإصابة (١/ ٤٥٢)، وصححه محقق الشمائل.

(١٧٣) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٦/ ١٠٧) (٢٠٥٨)، وشمائله ص(١٩٥) (٢٣٨)،وأحمد (٢/ ٣٦٠)، والبيهقي في السنن (١٠/ ٤٢٠) (٢١١٧٣).

وقال الترمذي: (حديث حسن)، وله شواهد، وصححه محقق الشمائل.

عادةً ما يكون دميم الخلقة - من الرجال والنساء - موضع سقوط عند بعض الناس، لكنه ليس كذلك عند رسول الله - عليه الصلاة والسلام، فالمعيار الذي يتفاضل به البشر عند ربهم ليس هو الخلقة، وإنما هو الدين الحق والخُلق الرفيع.

كما مزح محمد - عليه الصلاة والسلام - مع رجل آخر جاء يسأل النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يعطيه حملان يركبها (أي جمل أو خيل يركبه)، فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: إنا حاملوك على ولد الناقة!!

فتوهم الرجل أن المراد الولد الصغير للناقة حديث الولادة، وهو غير صالح للركوب؛ لأن العبارة توهم ذلك، ولذلك قال: وما أصنع بولد الناقة؟!

فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**وهل تلد الإبل إلا النوق**»(١٧٤)؟!

(أي: أن الجمل الكبير كان في الأصل ولداً للناقة، فيصح أن ينسب أنه ولد لها).

كما مزح محمد - عليه الصلاة والسلام - مع المرأة العجوز حين جاءت إليه فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: «**يا أم فلان! إن الجنة لا تدخلها عجوز**» فولت تبكي، فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز (أي: تعود شابة)، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾(١٧٥)(١٧٦).

---

(١٧٤) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٦/ ١٠٨) (٢٠٦٠)، وشمائله ص(١٩٦) (٢٣٩)، وأبو داود في سننه (٤/ ٣٠٠) (٤٩٩٨)، وأحمد (٣/ ٢٦٧) والبيهقي في السنن (١٠/ ٤١٩) (٢١١٦٨) وقال الترمذي: (صحيح غريب)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٢٨) (٤٩٩٨).

(١٧٥) سورة الواقعة، آية (٣٥-٣٧).

(١٧٦) أخرجه الترمذي في الشمائل ص (١٩٧) (٢٤١)، من طريق عبد بن حميد بسنده عن الحسن مرسلاً، لكن له طرق أخرى، انظرها في تخريج الشمائل، ولذا قال عنه أنه: حسن.

وللأطفال الصغار نصيب كبير من مزاح النبي - عليه الصلاة والسلام، فها هو يباسط طفلاً صغيراً ويلاطفه، فيسأله عن طيرٍ كان له يربيه، بل ويكني الطفل الصغير، فيقول الرسول الكريم للصبي الصغير: يا أبا عمير ما فعل النُغير[١٧٧]!!

(وهو طائر صغير يشبه العصفور، أحمر المنقار).

يا للدهشة!! عظمة في رحمة، ورحمة في عظمة!

كل هذه المكانة، وكل هؤلاء الأتباع، وكل تلك المهام الكبيرة، وقائد البلاد، وصاحب الأمر المطاع!! لم يشغله كل ذلك من أن يلاطف صبياً صغيراً، ويمازح امرأةً عجوزاً، ويداعب رجلاً دميماً!!!

حقاً إنه المزاح البريء، والمرح الصادق، ذا الأهداف النبيلة، والمقاصد الشريفة،إنه يبني ولا يهدم،ويبث المحبة، وينحر الضغينة.

إن هذا النبي الكريم يريد إدخال السرور على قلوب الناس!!

وقد يكون الرجل قائداً عظيماً، لكنه لا يعرف المزح والمرح، وقد يكون مزاحاً مرحاً لكنه لا يحسن سياسة الناس، وقد يكون قائداً مرحاً لكنه يخفق في جوانب أخرى من الرحمة والإحسان للخلق!

أما محمد - عليه الصلاة والسلام، فقد جمع بين تلك التقاطعات الصعبة، وألف بينها، ليتحقق فيه قول ربه جل وعلا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[١٧٨].

---

(١٧٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٥٤٣) (٦١٢٩)، ومسلم (٣/ ١٦٩٢) (٢١٥٠).

(١٧٨) سورة الأحزاب، آية (٢١).

١٦- هندسة الحلم وعِمَارة الرفق:

ذهب أحد مديري الإنشاءات إلى موقع من المواقع، حيث كان العمال يقومون بتشييد أحد المباني الضخمة في فرنسا، واقترب من أحد العمال وسأله:

ماذا تفعل؟.. فرد عليه العامل بطريقة عصبية وقال: أقوم بتكسير الأحجار الصلبة بهذه الآلات البدائية، وهذا عمل متعب للغاية، ويسبب لي الضيق من الحياة بأكملها، وتركه مدير الإنشاءات وذهب إلى عامل آخر وسأله نفس السؤال، وكان رد العامل الثاني: أنا أقوم بتشكيل هذه الأحجار إلى قطع يمكن استعمالها، وبعد ذلك تجمع الأحجار حسب تخطيطات المهندس المعماري، وهو عمل متعب، وأحياناً يصيبني الملل منه، ولكني أكسب منه قوت عيشي أنا وزوجتي وأولادي، وهذا عندي أفضل من أن أظل بدون عمل، وذهب مدير الإنشاءات إلى عامل ثالث وسأله نفس السؤال، فرد عليه قائلاً وهو يشير إلى الأعلى: ألا ترى بنفسك، إني أقوم ببناء ناطحة سحاب!!

من هذه الإجابات نرى كيف كانت نظرة هؤلاء العمال، وهكذا يتعامل الناس مع ما يجري حولهم من أحداث.

ولذلك يقول نورمان فينس بيل: (أي حقيقة تواجهنا ليست لها نفس الأهمية كأهمية تصرفنا تجاهها، لأن هذه الأخيرة هي التي تحدد نجاحنا أو فشلنا)[١٧٩].

وأنا لا أعرف أحداً في حياتي، ولم أسمع بأحد قبل مولدي، وضع قواعد راسخة، وأساسات ضخمة في (الحلم) و(الأناة) و(الرفق) و(الحكمة)، مثل محمد - عليه

(١٧٩) انظر كتاب: (قوة التحكم في الذات) لإبراهيم الفقي. ص(٤٨).

الصلاة والسلام، ثم هو يتمثل ما قال فيكون أعظم من حَلم، وأروع من تأنى، وأحكم من رفق!!

إن محمداً - عليه الصلاة والسلام - صحح مفاهيم مغلوطة للقوة، فقال: «**ليس الشديد بالصرعة (أي: الذي يصرع الناس بجسده)، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»(١٨٠).

إنها قوة الإرادة (الداخلية)، حين تنتصر على سفراءها في (الخارجية) (اليد، واللسان، والرجل...) فيعم الأمن، ويدوم الرخاء في قلب هذا الإنسان وعقله وروحه.

ويحث محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - على طيب الأخلاق، فيشجع رجلاً ويقول له: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم، والأناة**»(١٨١).

ويُنشئ قاعدة في الرفق فيقول: «**لا يكون الرفق في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»(١٨٢)، ثم يؤكد ذلك فيقول: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**»(١٨٣).

ثم يرسم رابطاً لهذه الأشياء كلها وغيرها، فيقول: «**وما أعطي أحدٌ من عطاءٍ خيرٌ وأوسعُ من الصبر**»(١٨٤).

---

(١٨٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٥٣٥) (٦١١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٤) (٢٦٠٩).

(١٨١) أخرجه مسلم (١/ ٤٨) (١٧)، وأصله في البخاري دون الشاهد كما في الفتح (١/ ٢٢١) (٨٧).

(١٨٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٤) (٢٥٩٤).

(١٨٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٣) (٢٥٩٢).

(١٨٤) أخرجه البخاري كما في الفتح (١١/ ٣٠٩) (٦٤٧٠)،ومسلم (٢/ ٧٢٩) (١٠٥٣).

- مهلاً يا عائشة -

يدخل عليه رهط (وهم العدد دون العشرة) من اليهود - وهم ألد أعدائه - فيقولون بلفظ بالعربية يشبه تحية المسلمين، وحقيقته الدعاء عليه بالموت، يقولون: السام عليكم، فتفهم ذلك عائشة وتقول: وعليكم السامُ واللعنة، فيقول لها - عليه الصلاة والسلام -: «**مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله**». فتقول عائشة: يا رسول الله، أولم تسمع ما قالوا؟! فيقول الحليم الرفيق - عليه الصلاة والسلام -: «**قد قلتُ وعليكم**»(١٨٥).

وذات مرة استقرض النبي - عليه الصلاة والسلام - من رجل بعيراً، وبعد مدة يأتي هذا الرجل يريد بعيره، فيغلظ القول ويشدد على النبي - عليه الصلاة والسلام، حتى همّ الصحابة به، (أي: يزجروه)، فقال لهم النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**دعوه، فإن لصاحب الحق مقالاً، واشتروا له بعيراً فأعطوه إياه**»، فقالوا: يا رسول الله إنا لا نجد إلا سناً هو خير من سنه (أي: أنفس وأغلى ثمناً). فقال لهم النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**اشتروه وأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاءً**»(١٨٦).

أي مدرسة هذه؟! إنها تُعلم الحلم، وترد لأهل الحق حقهم بل بأفضل منه!!

أيها القراء.. لقد لقي محمد - عليه الصلاة والسلام - من قومه لما كان في (مكة) من صنوف الأذى ألواناً، ومن أنواع الاستخفاف أشكالاً يأبى عليَّ قلمي أن أسطرها.

لكني أذكر لكم على مضض لوناً من ذلك وقع له بعد رحيله إلى المدينة.

---

(١٨٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٦٣) (٦٠٢٤)، ومسلم (٤/ ١٧٠٦) (٢١٦٥).

(١٨٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (٤/ ٥٦٣) (٢٣٠٥)، ومسلم (٣/ ١٢٢٥) (١٦٠١).

ها هم مشركوا قريش خرجوا من مكة صوب المدينة بجيش جرار فيه شجعانهم وفرسانهم، فيعلم بذلك النبي - عليه الصلاة والسلام، فيخرج هو ومن معه من المسلمين ليوافيهم عند جبل (أحد)، فتدور رحى معركة عنيفة، فيقع فيها أمر عظيم!!

(قتل محمد)!! هكذا أخذت الشائعات في ساحة المعركة طولاً وعرضاً!!

وما الذي جرى؟!

لم يقتل رسول الله - عليه الصلاة والسلام، ولكنه جرح رأسه، وكسرت رباعيته (وهي السن التي تلي الثنية)، فكانت ابنته فاطمة تغسل الدم، وعلي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن (أي: يصب عليها الماء بالترس)، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم(١٨٧).

هل تخيلت ذلك المشهد؟!

عندها أخذ النبي - عليه الصلاة والسلام - يمسح الدم عن وجهه ويقول:

«كيف يفلح قوم شجوا رأس نبيهم، وكسروا رباعيته! وهو يدعوهم إلى الله؟!!»(١٨٨).

ثم يمسح أخرى ويقول:

«رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»(١٨٩)!!

---

(١٨٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (٧/ ٤٣٠) (٤٠٧٥)، ومسلم (٣/ ١٤١٦) (١٧٩٠).

(١٨٨) أخرجه البخاري تعليقاً كما في الفتح (٧/ ٤٢٢)، ومسلم (٣/ ١٤١٧) (١٧٩١).

(١٨٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٢/ ٢٩٤) (٦٩٢٩)، ومسلم (٣/ ١٤١٧) (١٧٩٢).

وتمر الأيام فتسأل عائشة رضي الله عنها الزوجة الذكية زوجها رسول الله - عليه الصلاة والسلام - هذا السؤال:

هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟!

فتأتي الإجابة من الرسول - عليه الصلاة والسلام - فيقول:

"لقد لقيت من قومِك ما لقيت (يعني قريش حين كان بمكة): وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كُلال (وهو رجل من أكابر أهل الطائف من ثقيف، أي: أنه ذهب إلى أهل الطائف يدعوهم بعد عصيان أهل مكة له)، فلم يجبني إلى ما أردت!

فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق - يعني: من شدة الهم - إلا وأنا بقرن الثعالب (وهو موضع بين مكة والطائف، وهو ميقات أهل نجد المعروف الآن بقرن المنازل وهو على بعد ثمانية كيلو متراً من مكة تقريباً)، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل (الملك العظيم)، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلَّم عليَّ، ثم قال: يا محمد!! قد بعثني ربُك إليك لتأمرني بما شئت!! إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين (وهما جبلا مكة المحيطان بها)!!

فهل تظن أن محمداً فرح بهذا العرض، والآن بين يديه قوة عظيمة لا تقهر!! وقد أصابه من الهم ما أصابه؟!

لا. وإنما قال: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً[١٩٠].

عظيم أنت يا رسول الله!!

إنها الوحدانية تمتزج بالرحمة لتظهر بريق (الحلم) ولمعان (الرفق)!!

---

(١٩٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٣٦٠) (٣٢٣١)، ومسلم (٣/ ١٤٢٠) (١٧٩٥).

١٧- (دَعُوه)، لا تقطعوا عليه بوله!!

كان الناس جلوس في المسجد، وكان معهم رسول الله محمد - عليه الصلاة والسلام، إذ برجل من الأعراب يأتي فيدخل المسجد فيبول فيه!!

فيصيح الناس به، وهو لا زال يبول!

فيقول لهم الرسول - عليه الصلاة والسلام -: (دعوه)، لا تُزرِمُوه، (أي: لا تقطعوا عليه بوله)، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين!!

فلما فرغ من بوله دعاه أحسن المعلمين - عليه الصلاة والسلام - فقال له برفق ولين: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله ﷻ، والصلاة، وقراءة القرآن.

ثم أمر النبي - عليه الصلاة والسلام - رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماء فصب عليه(١٩١).

إن المكانة العظيمة للمسجد لم تمنع رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أن يعطي الناس كل الناس درساً مركزاً بالرفق بالجاهل!!

ودعونا الآن ننتقل إلى قصة أخرى، لكنها هذه المرة أثناء الصلاة، يرويها لنا صاحب القصة بنفسه، وهو معاوية بن الحكم السُلمي فيقول: بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! (يدعو له بالرحمة؛ لأن رسول الرحمة علمنا أن ندعو للعاطس بالرحمة، لكنه أخطأ التوقيت إذ لا يجوز ذلك أثناء الصلاة)

---

(١٩١) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ٣٨٧) (٢٢١)، ومسلم (١/ ٢٣٦) (٢٨٤) من حديث أنس، والبخاري كما في الفتح (١/ ٣٨٦) (٢٢٠) من حديث أبي هريرة.

يقول معاوية: فرماني القوم بأبصارهم. (أي: كأنهم يزجرونه)، فقلت: واثُكل أمياه! (أي: هلكت)، ما شأنكم؟ تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم. (لأن الكلام في الصلاة لا يجوز) فلما رأيتُهم يصمتونني غضبت، لكني سكت. فلما صلَّى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فبأبي هو وأمي! ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه. فوالله! ما كهرني (أي: ما نهرني)، ولا ضربني، ولا شتمني. وإنما قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**».

قال معاوية. قلت: يا رسول الله! إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام... وأخذ يكلم النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى أن قال: وكانت لي جارية (أمة) ترعى غنماً لي قريباً من أحد، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من الغنم، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون (أي: أغضب كما يغضبون) فصككتها صكة (أي: ضربتها بيدي)، فعظَّم رسول الله ذلك عليَّ (أي: أخذ يلومه)، قال: فقلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها؟ (أي: حتى يكون ذلك كالكفارة لها)، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: ائتني بها. فأتيته بها. فقال لها: «**أين الله؟**» قالت: في السماء. قال: «**من أنا؟**» قالت: أنت رسول الله. قال: «**أعتقها فإنها مؤمنة**»[١٩٢].

ما أروع تلك الطريقة المحمدية، إن معاوية لم يعرف خطأه فحسب!!

بل أُعجب بالنبي - عليه الصلاة والسلام - وتأثر برفقه وحلمه، حتى أصبح رفيقاً حليماً يلوم نفسه على ضد ذلك، فتذكر قصة تلك الجارية فأعتقها!!

---

(١٩٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٨١) (٥٣٧).

أليست - أيها الرجال والنساء - قصصاً تستحق الإشادة والتبجيل لهذا النبي المعلم الرحيم؟!

ألا فكن، وكوني مثل محمد - عليه الصلاة والسلام، لا يزيده جهل الجاهل إلا حلماً، ولا حمق الأحمق إلا رفقاً، وليكن أولى الناس برفقك أهل بيتك، إذ هو من علامات النجاح الأسري، ولذا يعلمنا رسولنا الكريم تجاه هذا الشأن فيقول: «**إذا أراد الله بأهل بيت خيراً، أدخل عليهم الرفق**»(١٩٣).

(١٩٣) أخرجه أحمد في المسند (٦/ ١٠٤)، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٢٢): (رواه أحمد ورجال الثانية - يعني: الرواية الثانية - رجال الصحيح).

١٨- حرارة الحِبر:

أعظم من ألف كلمة، وأشمل من مائة ديوان، لا أجد لها شبيهاً، ولا من بنات كلماتي مثيلاً!!

تعدُ أصدق تعبير يقرأه المتعلم والأمي، وأغلى شعور يدركه الذكي والغبي، وأوضح صورة تؤثر في المشاهد والسامع!

إنها لحظة تهتز فيها العاطفة، ويجيش بها الوجدان، ويهيج معها الضمير، وتضطرب لها الأحاسيس!!

فتبرز على سطح الخد (دمعة) صغيرة، لكنها أحرُّ من أي عبارة!!

قد صعدت قبل أن تتحدر!! نعم! صعدت من القلب إلى العين قبل أن تتحدر من العين إلى الخد!... إنها (حِبرٌ) صُنع في القلب فانطبع في العين، فكانت صحيفته خدٌ طاهر زكي، إنه خد محمد - عليه الصلاة والسلام - فحكى ذلك الحبر العزيز لوناً شفافاً من الرحمة!!

وكتبتْ تلك الدمعات الحارة على الوجنة النيرة كل معاني (الرقة) التي يخبئها - ولم يستطع - ذلك القلب الكبير!!

حُق لك - يا محمد - كل ذلك، فأنت الذي تقول: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء**»[١٩٤].

ألا ليت الطغاة والظالمين الذين يسفكون الدماء، ويقتلون الأبرياء، يسمعون ذلك.

---

(١٩٤) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٦/ ٤٣) (١٩٨٩)، وأبو داود في سننه (٤/ ٢٨٥) (٤٩٤١)، وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢١٢) (٤٩٤١).

وليت المدراء، والمسئولين، والمربين، والمعلمين يدركون ذلك.

ألست الذي تخبرنا أن من أهل الجنة: «**الرجل الرحيم، رقيق القلب**»[٢].

رُفع صبي إلى النبي محمد - عليه الصلاة والسلام - وكانت نفسه تتقعقع (أي: روح الصبي تتحرك وتضطرب عند الموت)، ففاضت عيني محمد - عليه الصلاة والسلام - بالدمع!!

فقال سعد بن عباده: ما هذا؟! (لأنه يعلم أن النبي - عليه الصلاة والسلام - نهى عن الجزع من قضاء الله). فرد عليه النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[١٩٥]، وفرق بين الرحمة والجزع!

يولد للنبي - عليه الصلاة والسلام - ولدٌ فيسميه باسم النبي إبراهيم - عليه الصلاة والسلام، وعندما يدخل النبي - عليه الصلاة والسلام - على هذا الصغير يقبله ويشمه، لكن هذا الصغير - لحكمة أرادها الله - يموت وهو في سن الرضاع، فيدخل عليه النبي - عليه الصلاة والسلام، والصغير إبراهيم يجود بنفسه، فتذرف عيني والده محمد - عليه الصلاة والسلام - فيقول له عبد الرحمن بن عوف وكان عنده: وأنت يا رسول الله؟!

فيقول له: يا ابن عوف إنها رحمة، ثم يتبعها بدمعة أخرى ويقول: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[١٩٦].

---

(١٩٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (٣/ ١٨٠) (١٢٨٤)، ومسلم (٢/ ٦٣٥) (٩٢٣).

(١٩٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (٣/ ٢٠٦) (١٣٠٣)، ومسلم (٤/ ١٨٠٧) (٢٣١٥).

- دموع من أجلنا -

في يوم من الأيام تحتضر بنت صغيرة عند النبي - عليه الصلاة والسلام - فيأخذها ويضمها إلى صدره، ثم يضع يده عليها، فتموت بين يديه!!

فتبكي امرأة - يقال لها: أم أيمن - عند النبي - عليه الصلاة والسلام - فيقال لها: أتبكين يا أم أيمن عند رسول الله؟!

فتقول: ومالي لا أبكي ورسول الله يبكي!!

فيقول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**إني لست أبكيها (أي: جزعاً) ولكنها رحمة، وإن المؤمن بخير على كل حال، تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله**»(١٩٧).

وتمتد تلك الرقة والرحمة في قلب محمد - عليه الصلاة والسلام - لتشمل المريض، وذلك أنه حين مرض سعد بن عباده أتاه النبي - عليه الصلاة والسلام - يعوده، ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ﷺ، فلما رأى ذلك بكى - عليه الصلاة والسلام، فلما رأى القوم بكاء محمد - عليه الصلاة والسلام، بكوا جميعاً!!

ثم قال لهم - عليه الصلاة والسلام -: «**إن الله لا يعذب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم**»(١٩٨).

(وهو يشير إلى التسخط على قضاء الله أو الرضا بما قسم الله).

---

(١٩٧) أخرجه النسائي (٤/ ١٢) (١٨٤٣)، والترمذي في الشمائل ص (٢٦٦) (٣٢٦)، وأحمد (١/ ٢٦٨) وقال أحمد شاكر: (إسناده حسن إن لم يكن صحيحاً)، وصححه محقق الشمائل ونقل تصحيح الألباني له.

(١٩٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (٣/ ٢٠٩) (١٣٠٤)، ومسلم (٢/ ٦٣٦) (٩٢٤).

ولا أكتمكم - معاشر القراء - أني كلما قرأتُ سطراً من هذه السيرة أو كتبته، اشتقت لمعرفة المزيد منها.

كان هذا النبي الكريم رقيقاً حين يصلي لربه ويقرأ القرآن، فيُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[١٩٩]. (أي: صوت صدره يشبه صوت غليان القدر)، بل هل تصدقون أن النبي - عليه الصلاة والسلام - بكى من أجلنا!!

ففي ذات مرة جعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقرأ القرآن على النبي - عليه الصلاة والسلام، وكان يحب أن يسمع القرآن، فقرأ ابن مسعود حتى بلغ قول الله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾[٢٠٠].

فقال له: حسبك الآن!! يقول ابن مسعود: فالتفت إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - فإذا عيناه تذرفان[٢٠١]!!

أتدرون لماذا بكى؟! بكى رحمة بنا، حيث أن الله كلفه بالشهادة على أمته، وتتضمن تلك الشهادة كل الأعمال، وربما كانت أعمالهم تلك غير مشرفة!! فبكى.

أوآه.. لتلك الدموع الشفافة الرقيقة، التي تصلنا اليوم ونحن على فُرشنا وفي دورنا وبين أولادنا!!

يُعلمنا ذلك الحبر بشفافيته وحرارته (الرقة، والحس المرهفِ، والحب الذي نحن بأمس الحاجة له) ونحن في عصر (العولمة) فلسنا - معاشر البشر - مجرد آلات حديدية أو برامج إلكترونية، وإنما نحن لحم ودم تنبض قلوبنا بالمشاعر والعواطف!! وهي اليوم أحوج منها في أي وقت مضى إلى دفء الحب المحمدي!!

---

(١٩٩) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٣/ ١٢١) (٨٩٩)، والنسائي (٣/ ١٣) (١٢١٤) والترمذي في الشمائل ص(٢٦٣) (٣٢٣) وأحمد (٤/ ٢٥) وهو صحيح.

(٢٠٠) سورة النساء، آية (٤١).

(٢٠١) أخرجه البخاري كما في الفتح (٨/ ٧١٧)(٥٠٥٥)، ومسلم (١/ ٥٥١)(٨٠٠)، وانظر كلام ابن حجر.

١٩- أضحكهما كما أبكيتهما!!

كان محمدٌ (الرحمة) - عليه الصلاة والسلام، كثيراً ما يحث الناس على محبة أقرباءهم، سواءً كانوا من جهة الأب أو الأم، ويعبر عن ذلك بـ (صلة الرحم)، وهو تعبير له مدلولاته التي لا تخفى!! فليست الصلة مجرد الزيارة فحسب!! بل تشمل المحبة والإحسان والهدية والمساعدة والمهاتفة والمشاركة في الأفراح والأتراح!!

وفي الوقت ذاته يحذر أشد التحذير من استبدال تلك الأحرف الجميلة (صلة) بأحرف أخرى شيطانية لتصبح الكلمة (قطع) الرحم، ولا يخفى ما في هذه الكلمة من معان تُحقق رغبة الشيطان!!

بل كان يأمر بصلة الرحم حتى وإن قطعوا!! ويجعل تلك الصلة من أسباب دخول الجنة! والبركة والتوفيق في الحياة!!

فإذا كانت رحمة محمد - عليه الصلاة والسلام - بهؤلاء الأقرباء بهذه المكانة!!

فكيف بمن كان سبباً لقرابتك بهم؟! بل سبباً لوجودك - أصلاً؟!!

لابد أنك عرفت من هم!

إنهم (الوالدان الكريمان) (الأم) الرحيمة، و(الأب) المحب!!

يخبرنا محمد - عليه الصلاة والسلام - بقصة وقعت في زمن نبي الله داود وابنه سليمان - عليهما الصلاة والسلام - فيقول: كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك، وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى.

فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: آتوني بالسكين أشقه بينهما.

فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به للصغرى[٢٠٢].

تلك الرحمة التي تقع في قلوب الأمهات كافأها محمد - عليه الصلاة والسلام - برحمات متتابعات علها أن توافيها حقها!!

لقد عاش محمد - عليه الصلاة والسلام - يتيماً، إذ مات والده وهو حملٌ في بطن أمه، وماتت أمه وهو ابن ست سنين!!

وحين زار محمد - عليه الصلاة والسلام - قبر أمه ذات يوم بكى وأبكى من حوله[٢٠٣].

ويقع لأحد أصحابه قصة مع أمه، وهو أبو هريرة رضي الله عنه إذ قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسول الله ما أكره، فأتيت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وأنا أبكي. فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليَّ فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة، فقال رسول الله - عليه الصلاة والسلام -: «**اللهم اهد أمَّ أبي هريرة**»، فخرجت مستبشراً بدعوة نبي الله، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجافٌ (مغلق)، فسمعت أمي خشف قدميَّ (أي: صوتها بالأرض)، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء (صوته) وهي تغتسل، فلبسَتْ درعها وعجلت عن خمارها. ففتحتْ الباب. ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله!! قال فرجعت إلى رسول الله - عليه الصلاة والسلام، فأتيته وأنا أبكي من الفرح!! قال

---

(٢٠٢) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٥٢٨) (٣٤٢٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٤) (١٧٢٠).

(٢٠٣) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧١) (٩٧٦).

قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أمَّ أبي هريرة. فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً[٢٠٤].

ألا ما أرقّ قلب محمد على الأبناء والبنات، والآباء والأمهات!

يأتي رجل إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - فيقول: يا رسول الله، إني أصبت ذنباً عظيماً فهل لي توبة؟! فيقول له: «**هل لك من أم؟**» فيقول: لا. قال: «**هل لك من خالة؟**» قال: نعم. قال: «**فبرَّها**»[٢٠٥].

ويأتيه رجل آخر فيقول: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟! (يعني صحبتي). فيقول له النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**أمك**». قال: ثم من؟ قال: «**أمك**». قال: ثم من؟! قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟!! قال: «**أبوك، ثم أدناك أدناك**»[٢٠٦] (يعني: الأقرب فالأقرب).

وحين جاء إليه رجل آخر، وقال: لقد أتيتك وإن والدي ليبكيان!

قال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**»[٢٠٧].

---

(٢٠٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٣٨) (٢٤٩١).

(٢٠٥) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٦/ ٢٦) (١٩٨٦)، وأحمد في المسند (٢/ ١٤)، والحاكم (٤/ ١٥٥) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي، وصحح إسناده: أحمد شاكر.

(٢٠٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤١٥) (٥٩٧١)، ومسلم (٤/ ١٩٧٤) (٢٥٤٨).

(٢٠٧) أخرجه أبو داود في سننه (٣/ ١٧) (٢٥٢٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٣٠) (٢٧٨٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود وابن ماجه. انظر صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦) (٢٢٤٢).

وهكذا يشرع محمد - عليه الصلاة والسلام، الحقوق العظيمة للوالدين (الأم) و(الأب)، ويجعل برهما والإحسان إليهما والتلطف معهما عمل صالح لا يضاهيه عمل!!

بل لو ذهبنا نورد أقواله في ذلك لطال بنا المقام!!

وهكذا أراد محمد - عليه الصلاة والسلام - أن يعيش الإنسان بين أمه وأبيه وأقاربه، يتردد بين الحب والرحمة، والبر والإحسان.

ألا فما الحيلة.. بأقوام قد تركوا والديهم أو أحدهما خلف ظهورهم فتنكروا للمعروف، حين أهملوهم أو وضعوهم في دار عجزة، أو نادٍ لكبار السن، وكأن صلاحيتهم قد انتهت!!

ونسوا، أو تناسوا ذلك الحق العظيم الذي كفله لهم الله رب العالمين!!

ومحمد - عليه الصلاة والسلام - يجعل من بر الوالدين الإحسان إلى أصدقائهم فيقول: «**إن أبر البر، صلة الولد أهل ود أبيه**»(٢٠٨).

فأين باب الإحسان؟! وأين حبل الوفاء؟! وأين درب المحبة؟! وأين طريق الرحمة؟!

فهل يدرك الناس يا ترى أن في هدي محمد - عليه الصلاة والسلام - ما يُسعد هذا العالم البائس المكدود؟!

الذي دفعته حضارته المادية الخاوية من الروح، إلى حربين عالميتين في ربع قرن من الزمان، والذي لا زال يتخبط في طريقه إلى حرب ثالثة وربما رابعة، تنذر حضارته كلها بالبوار؟!!

---

(٢٠٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٩) (٢٥٥٢).

٢٠- لقد لقيت أسحر البشر!!

جاءت امرأة للنبي - عليه الصلاة والسلام - ببردة منسوجة فيها حاشيتها (وهي لباس معروف آنذاك)، فقالت المرأة: نسجتها بيدي، فجئت لأكسوكها (أي: أنها هدية)، فأخذها النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو محتاجٌ إليها، بدليل أنه سرعان ما لبسها (وربما تطييب لخاطرها)، فلما رآها أحد الرجال عليه، قال: ما أحسنها، أكسنيها!! فجلس النبي - عليه الصلاة والسلام - في المجلس، فلما دخل طواها ثم أرسل بها إلى ذلك الرجل! فقال القوم للرجل: ما أحسنت، أما علمت أنه لا يرد سائلاً!! فقال الرجل لهم: ما سألته لألبسها وإنما لتكون كفني، وبالفعل كانت كفنه!![٢٠٩].

لقد قبل محمد - عليه الصلاة والسلام - هدية هذه المرأة، وحين طلبها هذا الرجل دفعها إليه، ولن أعلق على ذلك، ولكني أُردفها بقصة أخرى هي التي تعلق عليها، لكنها هذه المرة في سفر، إذ كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يسير في سفره ذاك ومعه أصحابه، يقول أحد أصحابه الذين كانوا معه، وهو عمران بن حصين: فأرسلني النبي - عليه الصلاة والسلام - ومعي رجال، نطلب الماء (أي: نبحث عن الماء)، وقد عطشنا عطشاً شديداً، فبينما نحن نسير، إذ نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين (أي: قربتين، إذ كانت على جمل ومعها قربتين)، فقلنا لها: أين الماء؟! فقالت: هيهات هيهات إنه لا ماء (إنه بعيد)، فقلنا: كم بيننا وبين الماء؟! قالت: يوم وليلة.

فقلنا: انطلقي إلى رسول الله؟! فقالت: وما رسول الله؟! فلم نملكها من أمرها شيئاً (أي: لم نوضح لها، نريد أن ترى رسول الله - عليه الصلاة والسلام)، فانطلقنا بها،

---

(٢٠٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (٣/ ١٧٠) (١٢٧٧).

فاستقبَلَنَا رسول الله - عليه الصلاة والسلام، فسألها عن الماء؟ فأخبرته مثل الذي أخبرتنا، وزادت أنها مؤتمة (أي: لها صبيان أيتام)، فأمر براويتها فأنيخت (أي: الجمل الذي يحمل القرب)، فمسح في العزلاوين (أي: مسح فم القربتين، وكان من جملة معجزاته أن الماء ينبع من بين أصابعه، كما كان المسيح يبرئ الأكمه ويحيي الموتى - بإذن الله -)، فشربنا ونحن أربعون رجلاً عطاشٌ حتى روينا، فملأنا كل قربة معنا وإداوة، وقربتي المرأة تكاد تنضرج (أي: تنشق من ملئها بالماء)، ثم قال لنا الرسول - عليه الصلاة والسلام -: هاتوا ما عندكم من طعام! فجمعنا لها من الكسر والتمر، ثم صرَّهُ لها صُرَّة (أي: شد ما جمعه لها في لفافة)، فقال لها: اذهبي فأطعمي هذا عيالك، واعلمي أنا لم نرزأ (أي: ننقص) من مائك، فلما أتت المرأة أهلها قالت: لقد لقيت أسحر البشر!! (لأخلاقه، ومعجزته في الماء)، وإنه لنبي، لقد كان من أمره كيت وكيت، فهدى الله ذلك الصِرمَ (أي: قومها، وتلك البيوت المجتمعة)، بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا[٢١٠].

- رحمة النعيم ورحمة الجحيم -

لقد كان محمد - عليه الصلاة والسلام - رحيماً بالنساء والأيتام، والمساكين والضعفاء، وذوي الحاجات، يتفقد حاجاتهم ويسأل عن حالهم.

امرأة سوداء!! يقال لها "أم محجن"، كانت تقم المسجد، وكان الناس يقللون من شأنها!! يفتقدها محمد - عليه الصلاة والسلام، فيسأل عنها: فيقولون له: إنها ماتت!! فيعتب عليهم النبي - عليه الصلاة والسلام - في عدم إخبارهم له بذلك!! ويقول لهم:

---

(٢١٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٧١) (٣٥٧١)، ومسلم (١/ ٤٧٤) (٦٨٢).

أفلا كنتم آذنتموني؟! ثم يقول: دلوني على قبرها، فيأتي إلى قبرها، ويصلي عليها!! ويدعو لها!![٢١١]

وكان محمد - عليه الصلاة والسلام - يزجر زجراً أكيداً، ويحذر تحذيراً بالغاً من إضاعة حق المرأة أو اليتيم، فيقول: «**أحرج فيكم حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة**»[٢١٢].

وهكذا نجد أن النبي - عليه الصلاة والسلام - تزداد رحمته بالإنسان كلما زاد ضعفه!! فيحسن بنا أن لا ننس التاريخ!! وأن لا نفتن ونغتر بتلك القشور الخادعة التي تعاصرنا اليوم!! كما يحسن بنا أن نذكر أن الماديين أخرجوا المرأة من البيت لتعمل! لأن الرجل هناك نكل عن كفالتها وإعالتها، وإن كان مقابل ذلك الثمن من عفتها وكرامتها!!

عندئذٍ فقط اضطرت المرأة أن تعمل بهذه الطريقة!!

لقد استغل الماديون حاجتها!! وحين طالبت المرأة هناك بالمساواة، كانت تعني أولاً وبالذات المساواة في الأجور لتأكل وتعيش!!

فلما لم تستطع ذلك، طالبت بحق الانتخابات ليكون لها صوت يحسب حسابه، ثم طالبت بدخول البرلمانات ليكون لها صوت إيجابي في تقرير تلك المساواة!!

لأن القوانين التي تحكم المجتمع يسنها الرجل وحده؛ وليست - كما هي في دين محمد عليه الصلاة والسلام، من شرع الله، الذي يعدل بين عباده رجالاً ونساءً.

---

(٢١١) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ٦٥٨) (٤٥٨)، ومسلم (٢/ ٦٥٩) (٩٥٦).

(٢١٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣١٣) (٣٦٧٨)، وأحمد (٢/ ٤٣٩) وقال في الزوائد: (إسناده صحيح ورجاله ثقات)، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ٢٩٨) (٢٩٦٧).

ولا ننس - مثلاً - أن فرنسا ظلت إلى عهد الجمهورية الرابعة بعد الحرب الأخيرة لا تمنح المرأة حق التصرف في مالها - كما يمنحها دين محمد، إلا بإذن وليها، على حين منحتها حق الدعارة كاملاً بصفة علنية أو سرية!! وهذا الحق الأخير هو الحق الوحيد الذي حرَّمه محمد على المرأة!! لأنه حرمه على الرجل كذلك!! رعاية لكرامة الإنسان وشعوره، ورفعاً لمستوى العلاقات الجنسية أن تكون علاقة أجساد لا تربطها رابطة مودة ولا سكن ولا أسرة.

كما يجب حين نرى العالم المادي اليوم، يقدم المرأة في بعض الأعمال على الرجل، وبخاصة في المتاجر، والسفارات، والقنصليات، وفي الأعمال الإخبارية كالصحافة والقنوات وغيرها..

يجب أن لا نغفل عن المعنى الكريه الخبيث في هذا التقديم. إنه معنى النخاسة والرقيق في جو من دخان العنبر والأفيون!! إنه استغلال للحاسة الجنسية في نفوس "الزبائن"، فصاحب المتجر، كالدولة التي تعين النساء في السفارات كشركة السياحة التي تعين مضيفات، كصاحب الجريدة الذي يدفع بالمرأة المسكينة إلى التقاط الأحاديث والأخبار!! كل منهم يدرك فيم يستخدم المرأة؟ ولماذا؟ ويعرف كيف تحصل المرأة على النجاح في هذه الميادين!! ويعلم ماذا تبذل للحصول على النجاح!! فإن لم تبذل شيئاً، فهو يدرك أن شهوات جائعة، وعيوناً خائنة، ترن حول جسدها وحول حديثها، وهو يستغل ذلك الجوع للكسب المادي والنجاح الحقير!! لأن المعاني الإنسانية الكريمة منه بعيد بعيد!!

تلك هي (رحمة الجحيم) العصرية بكِ أيتها المرأة، وهي مضادة تماماً لـ (رحمة النعيم) التي أرادها محمد - عليه الصلاة والسلام.

حين شبه النساء (بالقوارير) الناعمة التي يخشى عليها من الكسر!!

فسحقاً ثم تباً لرجال رجموك بشعاراتهم حتى كسروك، ومازالوا يزعمون أنهم رحموك!!

ولهؤلاء وغيرهم نقول كما قال محمد - عليه الصلاة والسلام: «**رفقاً بالقوارير**»!!

٢١- للزواج طعمٌ آخر!!

خمسين بالمائة من الزيجات تنتهي بالطلاق!! هكذا تقول إحصائيات بعض الدول!! ومعظم الزيجات الأخرى يسودها شعور بالألم والملل وعدم الرضا!! وكثير منا - للأسف - يشعر بأن زوجته في الحياة شيء مسلَّم بوجوده، فلا نبدي لها ما تستحق من اهتمام!! والعكس أيضاً صحيح! فلا شيء يجعل الإنسان يشعر بالسعادة أكثر من الشعور بأن الناس تعطيه حقه من التقدير والاعتراف بالفضل.

وتلك الكلمات الربيعية الجميلة التي كانت في بداية الزواج، يأتيها فصل الخريف فتذبل وتتساقط كأوراق الشجر، والمشكلة أن الفصول الأربع - ربما - أصبحت كلها خريف!! بل ربما تأتي تلك الأعاصير والرياح العاتية فتذهب معها بالشجر من جذورها!!

وربيعنا هذا اليوم، مع زوج عظيم، بل دعوني أكون أكثر صراحة معكم، إنني حين تقع لي ساعات خريف مع زوجتي، فننهمك بجمع أوراق الشجر اليابسة، فيقع بيننا شيء من العناد واللجاج!! فأتذكر تلك السيرة الربيعية العطرة (رحمة) محمد - عليه الصلاة والسلام - بزوجته، وزوجات العالم أجمع، أستحي من نفسي، وأخجل من زوجتي، وأشعر أني مذنب، وأن المسألة لم تكن تستحق كل هذا!!

لقد كانت رسالات الله ورسله مشاعل على الطريق، وأضواء ترشد الناس إلى سبيل الخير والحق، وتلزمهم بالأمانة والمسؤولية، وتقدير الحقوق والواجبات العامة!..

ولكن الإنسانية كانت تنحرف عن الطريق التي أرادتها رسالة الله وكتبه السماوية، وكانت تتجنب السير في السبيل التي شرعها الله للناس من أجل سعادة الإنسان وأمنه وأمانه.

ولقد جاء في أول وثيقة عالمية لحقوق الإنسان، التي أطلقها محمد - عليه الصلاة والسلام - في العام الأخير من حياته في حجة كانت هي حجة الوداع أن قال:

«**فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن، بأمانة الله**»[٢١٣] (أي: خافوا الله فيما يتعلق بحقوق النساء، والرفق بهن، وأحسنوا العشرة).

وكان يقول أيضاً: «**استوصوا بالنساء خيراً**» (أي: اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها وعليكم بالرحمة بهن)، ثم يذكر شيئاً من عاطفة النساء، ثم يكرر مرة أخرى:

«**فاستوصوا بالنساء خيراً**»[٢١٤].

بل كان يعلق خيرية الرجل بخيريته لأهله فيقول: «**خيركم خيركم لأهله**» ثم يقول: «**وأنا خيركم لأهلي**»[٢١٥].

فتعالوا بنا نرى كيف كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يصنع في بيته مع أهله.

فعن هذا السؤال تحديداً سُئلت زوجته عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يصنع في أهله؟! فقالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[٢١٦].

---

(٢١٣) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٥/ ٢٥١) (١٩٠٢)، وابن ماجه (٢/ ١٠٢٢) (٣٠٧٤) وصححه الألباني كما في صحيح سنن ابن ماجه (٢/ ١٨٩) (٢٤٩٤).

(٢١٤) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٤١٨) (٣٣٣١)، ومسلم (٢/ ١٠٩٠) (١٤٦٨).

(٢١٥) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (١٠/ ٢٦٩) (٤١٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وابن ماجه (١/ ٦٣٦) (١٩٧٧) من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: (حسن صحيح)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٣٣٤) (١٦٠٨).

(٢١٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ١٩١) (٦٧٦).

إذن. كان يخدم أهله ويشتغل بذلك، فهل يدرك ذلك أولئك الرجال الذين هربوا من المسؤولية وتخلوا عن تلك الخدمة!!

بل كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يكفيهم نفسه، ويقوم ببعض أعمالهم، فذكرت عنه عائشة - أيضاً -: أنه كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله (أي: يخرزها)، ويحلب شاته، ويخدم نفسه[٢١٧].

وكان محمد - عليه الصلاة والسلام - لا يعيب طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه!! [٢١٨] وكان يمدح الطعام فيقول مثلاً: «**نعم الإدام الخل**»[٢١٩] وكان يصوم في بعض الأيام، وربما قبَّل زوجته وهو صائم فتضحك، ليبين أن ذلك لا يبطل الصيام، ويغتسل معها في إناء واحد[٢٢٠].

وتقول زوجته عائشة رضي الله عنها: كنت أشرب وأنا حائض، ثم أناوله النبي - عليه الصلاة والسلام - فيضع فاه على موضع فيَّ فيشرب[٢٢١]. ليبين أن ذلك ليس بمستكره.

وكان يوجه الناس: أن ما ينفقه الرجل على زوجته وأولاده له به أجر، بل قال: حتى اللقمة يضعها في فم امرأته له بذلك أجر[٢٢٢].

---

(٢١٧) أخرجه الترمذي في الشمائل ص (٢٨٢) (٣٤٣)، دون خصف النعل، التي جاءت عند أحمد (٦/ ١٠٦) وحسنه محقق الشمائل.

(٢١٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٦٥٤) (٣٥٦٣) ومسلم (٣/ ١٦٣٢) (٢٠٦٤).

(٢١٩) أخرجه مسلم (٣/ ١٦٢١) (٢٠٥١).

(٢٢٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ٥٠٣) (٣٢٢) من حديث أم سلمة، ومسلم (٢/ ٧٧٦) (١١٠٦) من حديث عائشة.

(٢٢١) أخرجه مسلم (١/ ٢٤٥) (٣٠٠).

(٢٢٢) أخرجه البخاري كما في الفتح (٥/ ٤٢٧) (٢٧٤٢)، ومسلم (٣/ ١٢٥٠) (١٦٢٨).

وكان يؤدب الرجل إذا رأى امرأة فأعجبته أن يأتي زوجته فيواقعها (أي: يجامعها) ويقول: فإن ذلك يرد ما في نفسه[٢٢٣]، لأن معها مثل الذي معها (كناية عن الفرج).

وروي عنه: أن الرجل إذا جامع زوجته، فقضى حاجته، ولم تقضي حاجتها، أن لا يُعجلها[٢٢٤].

وكان ينهى الرجل إذا طالت غيبته عنها - كحال السفر - أن يقدم بلا إعلام يتخونها (أي: يظن الخيانة فيها)، كما ينهى عن تلمس عثراتها وتتبع زلاتها[٢٢٥].

ولم يكن محمداً - عليه الصلاة والسلام - فاحشاً بلسانه مع أهله[٢٢٦]، بل ولا مع الناس جميعاً، بل كان يتلطف مع عائشة ويرقق اسمها فيقول: (يا عائش)، وربما قال لها: (يا حميراء) [٢٢٧] (وهي كلمة تعني: يا شديدة البياض).

---

(٢٢٣) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٢١) (١٤٠٣).

(٢٢٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٦/ ١٩٤) (١٠٤٦٨)، وأبو يعلى حيث ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٢/ ٣٠) (١٥٦٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٤/ ٢٩٨): (رواه أبو يعلى وفيه راو لم يسم، وبقية رجاله ثقات) ولجهالة هذا الراوي بين ابن جريج وأنس، فإسناد هذا الحديث ضعيف، ولذا ضعفه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٧١) (٢٠١٠)، ولكن ينبغي أن يكون هذا أدباً للزوج، وتشهد له النصوص الأخرى التي تحض على العفة، ولذا ذكره العلماء في كتب الفقه وغيرها.

(٢٢٥) أصله في البخاري كما في الفتح (٩/ ٢٥١) (٥٢٤٣) وبوب البخاري على بقيته، وأخرجه بتمامه مسلم (٣/ ١٥٢٨) (٧١٥).

(٢٢٦) وهذا معلوم مشهور من سيرته، وخصصنا للزوجة وذلك أخذاً من قوله لعائشة: «يا عائشة متى عهدتني فاحشاً» وقد سبق تخريجه في حاشية رقم (١٦٩).

(٢٢٧) ووهم من قال: كل حديث في (الحميراء) باطل، بل ربما صح فيه حديثين، انظر كتاب (التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث) للشيخ بكر أبو زيد ص(١٨٥) (٣٤٤) ثم انظر حاشية رقم (٢٣٢) الآتية.

وكان إذا أراد أن يخرج وهي نائمة، يخشى أن تستوحش فتكون حركته رويداً رويداً، وفتحه وإغلاقه للباب برفق(٢٢٨).

وكان من هديه إذا جاء من الليل أن يسلم تسليماً، لا يوقظ نائماً ويسمع اليقظان(٢٢٩).

وربما يأذن للرجل من أصحابه أن يتخلف عن عمل عظيم لأجل تطبيب زوجته المريضة(٢٣٠).

وكان يرغب بالمزاح مع الزوجة ومداعبتها والضحك معها، فقال لأحد أصحابه يوماً: «**هلا بكراً؛ تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك**»(٢٣١).

وهو - عليه الصلاة والسلام - دعا عائشة ذات يوم فقال لها: «**تعالي أسابقك**» فسابقها فسبقته، وبعد مدة من الزمن سابقها مرة أخرى فسبقها، فقال لها: «**هذه بتلك!!**»(٢٣٢).

وإليك هذه الصورة الجميلة أيضاً التي تحكيها زوجته عائشة فتقول: جاء الحبشة (رجال سود) يرقصون ويلعبون بحرابهم (أي: أسلحتهم)، فقال لي الرسول - عليه الصلاة والسلام -: يا (حميراء)!! تشتهين تنظرين؟! فقلت: نعم، فأقامني عند الباب

---

(٢٢٨) كما تفيده قصة عائشة معه حين أمره ربه بزيارة البقيع ليلاً في مسلم (٢/ ٦٧٠) (٩٧٤).

(٢٢٩) كما يفيده حديث المقداد في مسلم (٣/ ١٦٢٥) (٢٠٥٥).

(٢٣٠) كما أذن لعثمان أن يتخلف عن الجهاد في معركة بدر لتمريض زوجته (رقية) رضي الله عنها.

(٢٣١) أخرجه البخاري كما في الفتح (٩/ ٢٤) (٥٠٧٩)، ومسلم (٢/ ١٠٨٧) (١٤٦٦) واللفظ له.

(٢٣٢) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٧/ ١٧٤) (٢٥٧٥)، وابن ماجه (١/ ٦٣٦) (١٩٧٩)، والنسائي في الكبرى، كما ذكر ذلك المزي في تحفة الأشراف (١٢/ ١٢١، ٣٦٩).

من وراء ظهره، وكان ذقني على عاتقه، وخدي على خده، حتى كنت أنا التي انصرفت!![٢٣٣]

إنها صورة معبرة لكم - أيها الأزواج - وأنا واحد منكم، ألم أقل لكم أنني أشعر بالتقصير تجاه زوجتي، حين أتذكر تلك الرحمة المحمدية بالزوجات؟!!

لعل بعض الأزواج - الآن - يقول لي: لقد أسقيت بهذه الرحمة شجرة الزوجات فاخضرّت وأثمرت لهن، وأما نحن معاشر الأزواج فلا زالت أشجارنا في فصل الخريف!!

فأقول: إن سحائب الرحمة، قد طالت أشجاركم، فجذورها ليست ببعيدة عن جذور أشجار زوجاتكم، و(النبي) الذي جاء من عند (الله) لم تتخلف رحمته عن الأزواج!!

ولو ذهبت كي أورد جميع ما لدي في حق الزوج على زوجته لاستوعب ذلك الكثير الكثير!! ولكني أكتفي بكلمات مختصرة جامعة وجهها محمد - عليه الصلاة والسلام - للزوجات، وذلك عندما جاء ذلك الرجل فقال: من أحسن النساء؟!

---

(٢٣٣) أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ٥١٠) (٩٥٠)، ومسلم (٢/ ٦٠٩) (٨٩٢)، ولفظ (الحميراء) عند النسائي في الكبرى في عشرة النساء كما في تحفة الأشراف (١٢/ ٣٥٩)، وقال ابن حجر كما في الفتح (٢/ ٥١٥) عن رواية النسائي هذه: (إسناده صحيح ولم أر في حديث صحيح ذكر الحميراء إلا في هذا) ا.هـ.

قال: «**التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فيما يكره في نفسها ومالها**»[٢٣٤].

وبعد هذه الجولة الخاطفة... هل تتوقعون لو اتبع كلا الزوجين الطريقة المحمدية في العشرة الزوجية!! أن تبقى تلك المشاكسات بين الزوجين التي ربما تؤول في النهاية إلى الطلاق؟!!

أما أنا فأجزم أن بيت الأسرة الجميل، ستظلله سحابة (الرحمة الزوجية) من جديد، فتسقيه، ثم تسقيه!! حتى ترتوي أشجاره، فتنتج أطايب الثمر، فيذوق كلٌ من الزوجين طعم آخر للزواج!!

وليعلم - الأزواج والزوجات - أن السعادة ليست بالأخذ فحسب!! بل تكون بالعطاء أعظم!!

فعندها تورق جميع الأشجار، وتشتبك الجذوع والأغصان!!

---

(٢٣٤) أخرجه النسائي (٦/ ٦٨) (٣٢٣١)، وأحمد (٢/ ٢٥١، ٤٣٨) والحاكم (٢/ ١٦١) وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي. وصححه الألباني كما في صحيح سنن النسائي (٢/ ٤١٧).

٢٢- رحلة الأزهـــار!!

(ألوانها) ترسم في أذهاننا جمال الحياة! (أوراقها) تلقي في نفوسنا معاني الرقة، (جمالها) يدير في الفكر التأمل مع الأمل، (ضعفها) يذكرنا ببراءة الروح، وصفاء النفوس!! تلكم هي (الأزهار)!!

فهل لي أن أفرح بكم، لنحزم حقائبنا فنخرج في صباح مشرق!! نداعب نسماته، ونترك وراءنا ضجيج الحياة، وصخب الأعمال، وهدير السيارات، وأصوات الطائرات!!

متوجهين إلى (الريف)، حيث الحدائق البديعة، والأزهار ذات المناظر الخلابة!! لنمسك بزهرة من تلك الأزهار ونُسائلها!! عن حكايتها مع (الإنسان)؟!!

يا للعجب!! حقاً لم نكن نعلم أن ذلك السؤال الصغير قد هز منها (الأشجان).. وحرك (الوجدان).. فسالت منه (العينان)!!

مهلاً! أيتها الزهرة الجميلة، ما الخطب؟! لم نكن نقصد سوى (الحقيقة)!!

قالت: أما وقد سألتم عني وعن (الإنسان)، فلنا معه تاريخ وحكايات!!

ألا ترونا نحن (الأزهار) اليوم!! كيف صنع الإنسان بنا!!

لقد أشعل فينا النيران، فتحول عبيرنا إلى دخان، ورحيقنا إلى رماد!! لقد أباد منا من أباد!! (آلياته الحديدية) ألحقت فينا الهموم واستمطرت سحائب الغموم! بعد أن كنا نحن الذين نمده بالحب والعطف!!

لقد أفسد تربة أرضنا حين سقانا بخمر شهوته!!

لكنّا معاشر (الأزهار) لا زلنا نمتع الخيال برجلٍ مر بحدائقنا فضحكت له الأغصان!! وتمايلت بحبه أوراقنا الملونة! فشم الناس من بعيد فوح عبيرنا!! وعطر جمالنا!!

لقد أحبنا فأحببناه، وأكرمنا فلن ننساه!!

إنكم تعرفونه جميعاً!! إنه (محمد) - عليه الصلاة والسلام - حين كان يقبِّل (الأطفال) ويشمهم[١٩٥]!!

نعم! (الأطفال) أزهار الأرض، ورحمة محمد - عليه الصلاة والسلام - لم تتخلف عنهم!!

جاء أعرابي من البادية فجلس عند النبي - عليه الصلاة والسلام - فأبصرت عيناه محمداً - عليه الصلاة والسلام - يقبل صبياً صغيراً، فقال هذا الأعرابي: إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحداً منهم!! فقال له الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «**من لا يَرحم لا يُرحم**»[٢٣٥].

ويجيء رجلٌ آخر من الأعراب فيسأل أصحاب الرسول - عليه الصلاة والسلام - والرسول معهم، فيقول: أتقبلون صبيانكم؟! فقالوا: نعم.

فقال: لكنا، والله! ما نقبلهم، فيقول له الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «**أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»[٢٣٦]، (أي: إن نزع الله الرحمة من قلبك فلا أملك لك ردها).

---

(٢٣٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٤٠) (٥٩٩٧)، ومسلم (٤/ ١٨٠٨) (٢٣١٨).

(٢٣٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٤٠) (٥٩٩٨)، ومسلم (٤/ ١٠٨٨) (٢٣١٧).

وكان محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - يضع الطفل في حجره، وربما بال على حجره فلا يضجر من ذلك، وإنما يدعو بالماء ويصب عليه[٢٣٧].

ومرة وضع صبياً على فخذه، وصبياً آخر على فخذه الثاني، فكان يضمهما: ويقول: «**اللهم ارحمهما فإني أرحمهما**»[٢٣٨].

وكان حين يمر بالصبيان يسلم عليهم!![٢٣٩]

وربما استقبله الولدان فجعل يمسح على خدّي أحدهم واحداً واحداً[١٣٥].

وكان يمازح طفلاً صغيراً فيقول له: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**[١٧٦]!!» (يتلطف معه، ويسأله عن طائر صغير كان له).

وحينما جاءت تلك الصبية الصغيرة مع والدها إلى النبي - عليه الصلاة والسلام، فأخذت تلعب بظهر النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو جالس فنهرها أبوها، فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**دعها!!**»[٢٤٠]

(دعها)! إن هذه الرحمة المحمدية بهذه البنت الصغيرة وأبيها، ترسم لنا مع الرحمة استراتيجية تعامل فذة مع الأطفال!! فكثيراً ما يشكو الآباء والأمهات من شجار أولادهم وصراخهم وكثرة لعبهم، فيحاولوا معالجة ذلك، ثم لا يجدوا في الأخير - بعد أن يصابوا بالدوار - إلا أن يعتادوا على ذلك!! ويتقبلوا هذا الشجار وذلك الصراخ،

---

(٢٣٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٤٨) (٦٠٠٢)، ومسلم (١/ ٢٣٧) (٢٨٦) من حديث عائشة، ومسلم (١/ ٢٣٨) (٢٨٧) من حديث أم قيس بنت محصن.

(٢٣٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٤٨) (٦٠٠٣)، والصبيان هما أسامة بن زيد والحسن بن علي، واستشكل بعضهم ذلك لفارق السن، وأجاب عنه ابن حجر فليراجع.

(٢٣٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (١١/ ٣٤) (٦٢٤٧)، ومسلم (٤/ ١٧٠٨) (٢١٦٨).

(٢٤٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٣٩) (٥٩٩٣).

فيشعروا أن أبناءهم الصغار قد تغلبوا عليهم!! إذن فخير - للآباء والأمهات - أن لا يدخلوا حلبة المصارعة مع أبناءهم!! وأدرك جيداً أن هذا الأمر سهل القول صعب التنفيذ، ولكن ليس هناك خيار آخر!!

ولربما كان في كثير من الأحيان، قبولنا للأمور على حالها بدلاً من الإصرار على أن تكون على الحالة التي نرغبها، هو الطريق إلى الحياة التي تتسم بالسكينة!! وعندئذٍ تدرك المغزى التربوي، والبُعد الاجتماعي من كلمة (دعها)!! وذلك حينما يكون في حركة الأطفال البريئة المتكررة!! وإن أزعجت!

ولكن الأمر يختلف حين يكون في ذلك سوء أدب، أو إضرار بالآخرين، فلابد من توجيه الصبي، لا سيما إذا كان مميزاً!!

فها هو الغلام (عمر بن أبي سلمة) يحدِّث عن الرسول - عليه الصلاة والسلام - فيقول: دخلت على النبي - عليه الصلاة والسلام - وعنده طعام، فقال: «**ادنُ يا بني**»، فأخذت آكل، وكانت يدي تطيش في الصحفة (أي: تتحرك في نواحي الإناء الذي نأكل منه) فقال لي: رسول الله - عليه الصلاة والسلام - «**(يا غلام)، سمِّ الله (أي قل: بسم الله عند بداية الطعام)، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»[٢٤١]، (أي: من الجهة القريبة منك، وذلك حين يكون إناءً واحداً مشتركاً).

---

(٢٤١) أخرجه البخاري كما في الفتح (٩/ ٤٣١) (٥٣٧٦)، ومسلم (٣/ ١٥٩٩) (٢٠٢٢)، والترمذي كما في تحفة الأحوذي (٥/ ٤٨٠) (١٩١٨).

- توقف إجباري -

وكان إذا رأى في الغلام ذكاءً أو مزيد فهم أولاه عنايته بالتربية والتعليم؛ لأنه يرجو نفعه للناس!! كتوجيهه لابن عباس رضي الله عنهما، ذلك الغلام الذي أصبح يلقب (بالبحر والحَبر) لكثرة علمه، يقول ابن عباس رضي الله عنهما: كنت راكباً خلف النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال لي: «**يا غلام!! إني أعلمك كلمات**...»[٢٤٢] فعلمه تلك الكلمات...

وكان حريصاً على فطر هؤلاء الصغار أن ترتكس في حمأة (الشرك بالله) أو تغرق في بحر كفر (مساواة غير الله بالله)، فيفرح أن يكون رحمةً لهم أو سبباً في هدايتهم ونجاتهم من نار الآخرة.

كان غلام يهودي يخدم النبي - عليه الصلاة والسلام - فمرض، فأتاه النبي - عليه الصلاة والسلام - يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم. فنظر الغلام إلى أبيه وهو عنده، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم (وكانت اليهود تقول للنبي - عليه الصلاة والسلام - أبو القاسم)، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فخرج النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه بي من النار[٢٤٣].

إن هذه القصة مع هذا الغلام اليهودي، تجعلنا نضطر أن نقف وقوفاً إجبارياً عند رحمته بالخدم!! ثم نعود لمواصلة رحلتنا مع (الأزهار)!!

---

(٢٤٢) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٧/ ١٨٥) (٢٦٣٥)، وأحمد (١/ ٢٩٣) وقال الترمذي: (حسن صحيح). وهو حديث صحيح.

(٢٤٣) أخرجه البخاري كما في الفتح (٣/ ٢٥٩) (١٣٥٦)، وأبو داود كما في عون المعبود (٨/ ٢٤٩) (٣٠٩٣).

يقول محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فليقعده معه، فليأكل، فإن كان الطعام مشفوهاً (أي: قليلاً)، فليضع في يديه منه أكلة أو أكلتين**»[٢٤٤] (يعني: لقمة أو لقمتين).

وتقول زوجته عائشة رضي الله عنها: ما ضرب رسول الله - عليه الصلاة والسلام - شيئاً قط بيده، ولا امرأة، ولا خادماً، وما نيل منه شيء قط فانتقم لنفسه، إلا أن تنتهك حرمات الله (أي: ما حرم الله) فينتقم لله عز وجل[٢٤٥]، ولا خُير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً[٢٤٦].

بل يقول صاحبه الذي خدمه عشر سنين: خدمت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - عشر سنين، والله! ما قال لي: أفاً قط (أي: ما تضجر منه أبداً)، ولا قال لي لشيء صنعته: لم صنعت كذا؟! ولا لشيء تركته: لمَ لمْ تصنع كذا وكذا؟!![٢٤٧].

وتحدث قصة لهذا الصحابي الذي خدمه، وذلك حين كان صبياً يخدمه، بعدها نواصل رحلتنا مع صغار (الأزهار)!!

يقول هذا الغلام الخادم أنس رضي الله عنه: كان رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أحسن الناس خُلقاً، فأرسلني يوماً لحاجة، فقلت: والله! لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله - عليه الصلاة والسلام، فخرجت حتى مررت على صبيان يلعبون في السوق، فأبطأت، فإذا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قد قبض بقفاي من

---

(٢٤٤) أخرجه البخاري كما في الفتح (٩/ ٤٩٤) (٥٤٦٠)، ومسلم (٣/ ١٢٨٤) (١٦٦٣).

(٢٤٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١٤) (٢٣٢٨).

(٢٤٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٥٤١) (٦١٢٦)، ومسلم (٤/ ١٨١٣) (٢٣٢٧).

(٢٤٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٧١) (٦٠٣٨)، ومسلم (٤/ ١٨٠٤) (٢٣٠٩).

ورائي، فنظرت إليه فإذا هو يضحك. فقال: «**يا أُنيس!! (يرقق اسمه تلطفاً) اذهب حيث أمرتك؟**» قلت: **نعم!** أنا أذهب يا رسول الله!![٢٤٨].

والآن، نعود إلى الأطفال الصغار!!

- مواصلة الرحلة -

لقد كان للصلاة القدر العظيم عند رسول الله - عليه الصلاة والسلام، وبالرغم من ذلك كان إذا صلى بالمسلمين، فسمع بكاء الصبي خفف الصلاة[٢٤٩]؛ رحمة به وبأمه!!

بل صلى ذات مرة وهو يحمل طفلة صغيرة، فإذا ركع وضعها، وإذا قام من السجود حملها مرة أخرى!![٢٥٠].

بل إليك هذه الصور الطريفة من الرحمة:

يقول أحد أصحابه وهو شداد بن الهاد رضي الله عنه: صلى بنا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - صلاة أطال سجودها (على غير عادته في تلك الصلاة) يقول: فرفعت رأسي: فإذا الصبي على ظهر الرسول - عليه الصلاة والسلام - وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى الرسول - عليه الصلاة والسلام - الصلاة، قال الناس يا رسول الله: إنك سجدت سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر (أي: خافوا أن

---

(٢٤٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٠٥) (٢٣١٠).

(٢٤٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ٢٣٦) (٧٠٩)، ومسلم (١/ ٣٤٢) (٤٧٠).

(٢٥٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٤٠) (٥٩٩٦)، ومسلم (١/ ٣٨٥) (٥٤٣).

أصيب الرسول بمكروه)، فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله، حتى يقضي حاجته!!**»[٢٥١].

يا للعجب!! أي رحمة تلك!!

ما الذي حدث للإنسان حينما نسي رحمة محمد - عليه الصلاة والسلام - بالأزهار، ها هو يستخدم (الدبابات) لإحراقهم!! ويحلق (بالطائرات) ليسحقهم!! ويحيك المؤامرات لتشريدهم والقضاء عليهم!!

فإن لم يكن ذلك فتذوب أخلاقهم في مستنقع الشهوة!! لأجل المادة!!

وبعد تلك الرحلة.. التي بقدر إمتاعها لنا، أحسسنا معها بالندم، نعود وقد تملكنا الحب والوجل!!!

(الأطفال)!!! و(الصبيان)!! و(الخدم)!! و(النساء)!!

و(الزوجات)!! و(الآباء)!! و(الأمهات)!! و(الأقارب)!! و(الجيران)!!

و(الخلق)!! كل هؤلاء وسعتهم رحمة محمد - عليه الصلاة والسلام -!!!

أجل!! أتدري لماذا؟!!

لأن تلك رحمة أرحم الراحمين بنا، حيث اختاره (الله رب العالمين)، فشاء أن يكون (رحمةً للعالمين)!! والله أعلم حيث يجعل رسالته!!

---

(٢٥١) أخرجه النسائي (٢/ ٢٢٩) (١١٤١)، وأحمد (٣/ ٤٩٤).

٢٣- غـذاءُ الروح بين رحمتيـن!!:

ذَكَرَ حقيقته مع الحقيقة، فقال: كنت أنهمك في عملي وأنا أنتظر بلهف إجازة نهاية الأسبوع، حيث الخمر والنساء!! والليالي الحمراء!! وشيء من النزهة!! مع ممارسة الرياضة بشكل مستمر!!

ولم تكن المادة تشكل هاجساً لدي، فأنا رجل ثري أملك ما يكفيني ويكفي أهل الحي بأكمله لعدة سنوات!!

وفي لحظة (عقل وفكر) أخذني التفكير فيما مضى من حياتي، فأنا لم أترك لذة إلا ذُقتها، ولا شيئاً يرغبه الناس إلا فعلته!! وماذا بعد!! متعت عينيَّ، ومتعت أذنيَّ، ومتعت شمي، ولساني، وجميع حواسي!! ألست أمتعها لأجل أن يستمتع ملكُها (قلبي)!!

لكني حتى الآن أشعر أن لهذا الملك متعةً (حقيقية) لم أجربها بعد!!

ظل هذا الهاجس يدور في خاطري، ويجول في ذهني!!

وفي رحلة لأحد البلاد السياحية الجميلة!! وفي هدوء الليل إذ بي أسمع صوتاً يشدني من بعيد، أخذتُ أقترب منه وأقترب، إذ به يقول بالعربية: (الله أكبر)!! (الله أكبر)!!

أحسست عندما سمعتها أن شيئاً غريباً هز وجداني، تذكرت معه ذلك السؤال الذي يدور في خاطري!! فقلت في نفسي: هل يُعقل أن يكون المسلمون!! وجدوا جواباً لهذا السؤال؟! فأصبح في ذهني سؤالين بدلاً من واحد!!

ففكرت أن أشتري كتاباً عن الإسلام، فأنا رجل أحب القراءة!!

وفعلت! وبينما كنت أقلب صفحاته إذ بي أقرأ أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - قال: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»[٢٥٢] فحفظت هذا اللام، وتشجعت أن أشتري كتاباً آخر يبين لي من هو هذا الرجل الذي قال هذا الكلام؟!! ففعلت!

ويا لهول ما رأيت!! رأيت أنه كان إذا نزل به هم أو أصابه غم قام ليصلي!![٢٥٣] وأنه إذا أتاه أمر يسره ويفرحه خر لله ساجداً!![٢٥٤] وأنه كان يقول عن نفسه: «**وجُعلت قرة عيني في الصلاة..**»[١٣٢].

فوجدت فيما قرأت ترابطاً وثيقاً بين (الصلاة) التي تكون لله، و(القلب) الذي هو محل نظر الله!!

فهل من الممكن أن تكون هذه الصلاة مفتاح سعادة هذا القلب ومتعته؟!

وهل حقاً ما قرأت؟! وهل يمكن لي أن أجرب؟!

ولكن يبدو أن هذه التجربة مغامرة فريدة، فهي تحتاج إلى ثورة في نفسي على كل ثقافاتي السابقة، وتحتاج إلى جد وعزم وإصرار!!

---

(٢٥٢) أخرجه مسلم (١/ ١٩٨٧) (٢٥٦٤).

(٢٥٣) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٤/ ١٤٢) (١٣١٥)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/ ٣٦١) (١٣١٩) وصححه الأرنؤوطان في تحقيق الزاد (٤/ ١٩٩، ٣٣١).

(٢٥٤) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٥/ ١٦٧) (٢٦٢٦)، وأبو داود كما في عون المعبود (٧/ ٣٢٧) (٢٧٧١)، وابن ماجه (١/ ٤٤٦) (١٣٩٤) وحسن إسناده الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١/ ٢٣٣) (١١٤٣) والأرنؤوطان في تحقيق الزاد (٤/ ٣٦٠)، وفي الباب أحاديث أخرى.

ثم أني يجب أن أكون (مسلماً)!! وكان لي صديق مسلم أُقدِّره وأحترم رأيه،حاورته، فدلني على مركز إسلامي.. ومن هناك نطقت بـ:

أشهدُ أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وبدأت بالصلاة!!

صدقوني... أني بعد مضي فترة من الزمن، ذُقت طعماً جديداً للحياة، ووجدت ذلك الشيء المفقود الذي كنت أبحث عنه، وأحسست بحلاوة العبادة، ولذة الاتصال بالله!! التي لا تعدلها لذة مهما كانت!!

وأنا اليوم – بحمد الله – لست أبداً... ذلك الرجل الذي كان بالأمس!!

كانت تلك تجربة هذا الرجل، الذي وجد أن ما شرعه الله على لسان محمد – عليه الصلاة والسلام – من (العبادات) كان رحمةً!! لأنها غذاء الروح!!

هذه العبادات أعمالٌ يطيقها الناس، لكنها ليست لأجل متعة الجسد!!

وإنما هي حقٌ يؤدى لله!! تكون بها رحلة الروح!! استعداداً لرحلة أطول!! إنه (الموت) وما بعده، فهي زاده وراحلته!!

ورحمةً بالخلق وإعذاراً لهم، وإعداداً لنا لهذه الرحلة، شاء الله بحكمته ورحمته، أن يخص نبيه محمداً – عليه الصلاة والسلام – برحلة لم تكن للرسل السابقين، ولا لأحد من البشر أجمعين من قبل ولا من بعد، تلكم هي رحلة المعجزة، رحلة (الإسراء والمعراج)!!، بدَأتْ من (مكة) ومرت بـ (بيت المقدس) حيث دار الأنبياء، وصعدت لـ(السماوات السبع) وتوقفت عند (سدرة المنتهى) التي حين غشيها من أمر الله ما غشيها، تغيرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، وهناك كان فرض هذه الصلوات، ففرضها الله خمسين صلاة في اليوم والليلة، ولم يزل محمد – عليه الصلاة والسلام – يراجع ربه بالتخفيف رحمةً بأمته، حتى استقرت على (خمس)

صلوات في اليوم والليلة، حتى قال محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**قد راجعت ربي حتى استحييت منه**»[٢٥٥]!!

ولئن عجبنا من رحمة محمد - عليه الصلاة والسلام - بأمته!!

فأرواحنا وعروقنا تنبض في كل لحظة تُسَبِّح برحمة من خلق محمداً وخلقنا، فبعث محمداً بشِرعته وأرسل محمداً ورحمته!!

تلكم هي الرحمة العظمى (رحمة العظيم) ذي (الجبروت والكبرياء) الذي رحمته وسعت كل شيء، وما محمد ورحمته إلا جزءاً من رحمته، لكنه أراد بهذا الفرض أن يُظهر رحمته ورحمة نبيه في آنٍ معاً!!

ففرضها ربنا العظيم (خمساً) في العدد (خمسين) في الثواب والأجر!!

ألا فلتذُب الرحمات في رحمته، ولتهلك المعبودات أمام إلهيته، ولتهوى الكائنات أمام ربوبيته، ولتخرس الشعارات أمام عدله وشِرعته!! لأنه الذي خلق كل شيء وقدره تقديرا! فسبحان من له في كل شيء آية تدل على أنه (الواحد)!!

رحمة ربنا تلك، كتَبتْ أن يكون محمدٌ - عليه الصلاة والسلام - نبي الرحمة! فشرع الله تلك (الطهارات) من العبادات على لسانه غذاءً للروح!!

ومعها التخفيف والرحمة!! ومن عرف أحكام الإسلام أدرك ذلك تماماً!!

فمثلاً يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم، والكبير والصغير، وذا الحاجة**»[٢٥٦].

---

(٢٥٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ٥٤٧) (٣٤٩)، ومسلم (١/ ١٤٥) (١٦٢، ١٦٣).

(٢٥٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (٢/ ٢٣٣) (٧٠٣)، ومسلم (١/ ٣٤١) (٤٦٧).

فلم يأمر الله عباده إلا بما يطيقونه، وهو أمرهم بذلك رحمةً بهم، كي يستحقوا رحمته و(جنته)، فنحن بين رحمات ربنا نغدو ونروح!!

طمعاً بدار الرحمة تلك، التي فيها مالا عين رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على (قلب) بشر!!

هناك تكون سعادة الملك والجنود (القلب) و(الجوارح)، التي لا يُكدرها مثقال ذرة من شقاء...

٢٤- من فجع هذه بولدها؟!!

بثت القنوات الفضائية قبل زمن خبراً مفاده، أن أربعاً وعشرين شخصاً في استرالياً، سكنوا باختيارهم أقفاصاً مع الحيوانات في أحد الحدائق، وأنهم سيمكثون شهراً يزورهم الناس مع زيارتهم للحيوانات!!

والعجيب أيضاً: أن طبيبهم الذي يصرف لهم الدواء هو (الطبيب البيطري)!!

فيا ترى هل أراد هؤلاء البشر حين أكرمهم الله بـ(العقل) أن يبيعوه على الدجاج أو النعاج؟!

لكن هو الفراغ الروحي، والخواء الأخلاقي، في جو من المغامرة مدفوع بحب الشهرة، مملوءٍ بحياة الملل!!

أما نحن في هذه الأسطر، فسنبتهج بصورٍ رائعة من رحمة محمد - عليه الصلاة والسلام - بالحيوان، ورفقه به، دون أن يصبح الإنسان حيواناً!! أو ينام في حظائر البقر والدجاج!!

حينما كنتُ صغيراً رأيت فراخاً لحمام في شباك جيراننا، فذهبت أنا وصديق لي، وأخذنا هذه الفراخ، فجاءت أم هذه الفراخ مفجوعةً بفقد فراخها، فرأت أمي (مربيتي العظيمة) هذا المشهد!! فقالت: أَعِد هذه الفراخ يا بني، أما علمت أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - كان في سفر ومعه أصحابه فنزل منزلاً، ثم انطلق لحاجته، فقام رجلٌ من القوم إلى شجرة قريبة، فرأى فراخ حمَّرة (طائر صغير كالعصفور) فأخذ الفراخ، فجاءت الحمرة ترف بجناحيها على رؤوس أصحاب النبي - عليه الصلاة والسلام، فلما جاء النبي - عليه الصلاة والسلام - ورأى ذلك قال: «**من فجع هذه**

بولدها؟!» فقال الرجل: أنا. فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: «**رد ولدها إليها**»[٢٥٧].

فرددت فراخ الحمام، وكانت تلك أول مرة أسمع فيها هذا الحديث.

كما أخبرنا محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**أن امرأة عذبت بالنار بسبب هرة حبستها حتى ماتت، لا هي أطعمتها، ولا هي جعلتها تأكل من خشاش الأرض**»[٢٥٨].

كما حدثنا - أيضاً - فقال: «**بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب. ثم خرج. فإذا كلبٌ يلهث (يخرج لسانه من شدة العطش) يأكل الثرى من العطش (أي: يلحس التراب الندي)، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ مني. فنزل البئر فملأ خفه ماءً (أي: ملأ نعلاً كانت من الجلد)، ثم أمسك الرجل الخف بفيه حتى رقي (صعد)، فسقى الكلب. فشكر الله له. فغفر له**».

قال الصحابة حين سمعوا هذه القصة: يا رسول الله!! وإن لنا في هذه البهائم أجراً؟! فقال: «**في كل كبد رطبة أجر**» (أي: كل شيء حي أو له روح، فلكم فيه أجر)[٢٥٩].

---

(٢٥٧) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٣/ ٥٥) (٢٦٧٦)، وأحمد (١/ ٤٠٤)، وإسناد أحمد مرسل، لكنه متصل عند أبي داود، ولذا قال عنه أحمد شاكر: (فإسناد أبي داود صحيح متصل)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ١٤٥) (٢٦٧٥).

(٢٥٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٥٩٤) (٣٤٨٢)، ومسلم (٤/ ١٧٦٠) (٢٢٤٢).

(٢٥٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (١/ ٣٣٣) (١٧٣)، ومسلم (٤/ ١٧٦١) (٢٢٤٤).

- جَملٌ يشتكي -

ومن البراهين الساطعة التي لا تجري لأي إنسان ما لم يكن رسولاً من رب العالمين (الخوارق للعادات)، فإليك هذه القصة التي فيها أحد دلائل النبوة مع عظيم الرحمة.

"ذات يوم دخل محمد - عليه الصلاة والسلام - حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي - عليه الصلاة والسلام - حنَّ وذرفت عيناه، فأتاه النبي - عليه الصلاة والسلام - فمسح رأسه فسكت، فقال الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «**من صاحب هذا الجمل؟! لمن هذا الجمل؟!**» فجاء فتىً من الأنصار، فقال: لي يا رسول الله، قال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها، فإنه شكا إليَّ أنك تجيعه (أي: يبيت جائعاً) وتدئبه**»[٢٦٠] (أي: تتعبه).

وذات مرة رأى النبي - عليه الصلاة والسلام - حماراً قد وسم في وجهه (وهي علامة تكون بالكي) فقال: «**أما بلغكم أني لعنت من وسم البهيمة في وجهها، أو ضربها في وجهها**»، فنهى عن ذلك[٢٦١].

وحين دخل أنس بن مالك رضي الله عنه دار الحكم بن أيوب، فرأى غلماناً نصبوا دجاجة يرمونها، فقال أنس: نهى رسول الله - عليه الصلاة والسلام - أن تصبر البهائم[٢٦٢]. (أي: تحبس لترمى حتى تموت).

---

(٢٦٠) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٧/ ١٥٨) (٢٥٤٦)، وأحمد (١/ ٢٠٤) وأصله في مسلم (١/ ٢٦٨) (٣٤٢) دون قصة الجمل، وقد وصلها من طريق مسلم أبو عوانة في مستخرجه، كما ذكر ذلك ابن حجر في النكت الظراف على تحفة الأشراف (٤/ ٢٩٩) (٥٢١٥)، وصحح إسنادها: أحمد شاكر، وكذا صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢/ ١١٠) (٢٥٤٩).

(٢٦١) أخرجه مسلم (٣/ ١٩٧٣) (٢١١٧)، وأبو داود كما في عون المعبود (٧/ ١٦٦) (٢٥٦١).

(٢٦٢) أخرجه البخاري كما في الفتح (٩/ ٥٥٨) (٥٥١٣)، ومسلم (٣/ ١٥٤٩) (١٩٥٦).

وحين سمع النبي - عليه الصلاة والسلام - امرأة تلعن ناقتها، نهى عن ذلك[٢٦٣].

بل تبلغ هذه الرحمة مبلغاً عظيماً، حتى في الحيوان مأكول اللحم!!

فيقول محمد - عليه الصلاة والسلام -: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته**»[٢٦٤] (أي: تكون السكين حادة حتى لا تتعذب البهيمة عند الذبح).

وقد ذكر العلماء أن هذا الدم المسفوح الذي يخرج من رقبة الذبيحة يُخرجُ معه المواد الفاسدة من جسدها، ولذلك تعتبره شريعة الإسلام دماً نجساً.

فيا لله، ما هذه الرحمة الحكيمة، التي تصاحب هذا الحيوان حتى آخر قطرة من دمه!! وفي نفس اللحظة لم تهمل الإنسان الذي سخر الله له هذا الحيوان!!

ألا إن تلك الرحمة المحمدية تضع أيدينا على الطريقة السليمة في رحمة الإنسان بالحيوان!! لا رحمة الحيوان بالحيوان!! التي توصل إليها إنسان العصر!

يُحكى أن رجلاً من العرب يقال له (الحارث بن صعصعة)، كان له ندماء (أصدقاء) لا يفارقهم، فعبث أحدهم بزوجته وراسلها، وكان للحارث كلب قد رباه، فخرج الحارث في بعض متنزهاته، وتخلف عنه ذلك الرجل، وجاء إلى زوجته فأقام عندها، فلما جامعها وثب الكلب عليهما فقتلهما، فلما رجع الحارث نظر إليهما وإلى الكلب فعرف القصة، وترك من كان يعاشره، وترك الناس، واتخذ كلبه صديقاً له، فتحدث به الناس.

---

(٢٦٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤) (٢٥٩٥).

(٢٦٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٤٨) (١٩٥٥).

فأنشأ يقول:

فللكلـب خـيرٌ مـن خليـل يخـونني ويـنكح عـرسي بعـد وقـت رحـيلي
سـأجعل كلبـي مـا حييـت منـادمي وأمنحـــه ودي وصـــفو خلـــيلي

وهكذا حين تتخلف تعاليم الرحمة المحمدية بين (بني البشر)، ربما ينزو بعضهم على بعض كالحيوان!! وربما وجد الإنسان حينها أن الكلب خير له من البشر!!

٢٥- عندما تطبخان مرقاً أو تشتريان فاكهة تذكراه!!:

أيها الزوجان الكريمان، أثاثكم المنزلي وحسن التدبير وجمال الاختيار وتناسق الألوان، كلها تبعث البهجة بهذا المنزل!!

حديقة المنزل حين نقلم أشجارها، وننسق زهورها، يُشعرنا ذلك بالمتعة!!

لكن اسمحوا لي في هذا اليوم أن أُنبهكم إلى شيء، قد لا تعدونه أنتم من المنزل، لكنه ربما يكون أهم!!

وهو في الحقيقة بجوار المنزل!! لابد أنكم عرفتموه.. إنه (جارنا الكريم)!! ذلك الجار الذي له حقوق في الإسلام لا تجدها في أي ملة!!

فإليك بعضاً مما قاله محمد - عليه الصلاة والسلام - فيما يتعلق بالجار.

«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره**».

«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره**»[٢٦٥].

«**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يؤذِ جاره**»[٢٦٦].

بل يؤكد على هذه بالذات، فيحذر أن يكون الجار شريراً لا يأمنه جيرانه، فيقول: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**». قيل: مَنْ يا رسول الله؟

قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[٢٦٧]، (أي: ينقص قدر كبير من إيمان المسلم حين يكون شريراً يخافه جيرانه).

---

(٢٦٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٦٠) (٦٠١٩) بلفظ (فليكرم)، ومسلم (١/ ٦٩) (٤٨) بلفظ (فليحسن).

(٢٦٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٦٠) (٦٠١٨)، ومسلم (١/ ٦٨) (٤٧).

(٢٦٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٥٧) (٦٠١٦).

ويأمرنا محمد - عليه الصلاة والسلام -: أن يحب المرء لجاره ما يحبه لنفسه[٢٦٨].

ويوصينا فيقول: «**إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف**»[٢٦٩].

ويوصي النساء فيقول: «**يا نساء المسلمات، لا تحقرنَّ جارةٌ لجارتها، ولو فِرسِنَ شاة**»[٢٧٠]، (أي: لتهدي جارتها ولو كان عظماً قليل اللحم).

وتأتي إليه زوجته عائشة فتسأله وتقول: إن لي جارتين فإلى أيهما أهدي؟! قال: «**إلى أقربهما منك باباً**»[٢٧١].

فما أفقه السائلة!! وما أروع الجواب!! ومنه نعلم أن الجار كلما كان أقرب إلى الدار، كان حقه آكد.

ويدخل في الجوار غير جوار المسكن، جوار العمل أياً كان، وجوار المجلس وغيره!!

وقد جاء أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قال: «**إذا أراد الله بعبده خيراً، فتح له عملاً صالحاً بين يدي موته، حتى يرضى عنه من حوله**»[٢٧٢]، وممن حوله جيرانه.

---

(٢٦٨) أخرجه مسلم (١/ ٦٧) (٤٥).

(٢٦٩) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٥) (٢٦٢٥).

(٢٧٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٤٥٩) (٦٠١٧)، ومسلم (٢/ ٧١٤) (١٠٣٠).

(٢٧١) أخرجه البخاري كما في الفتح (٤/ ٥١٢) (٢٢٥٩).

(٢٧٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤) وابن حبان كما في الإحسان (١/ ٢٧٨) (٣٤٣) (٣٤٤) والحاكم (١/ ٣٤٠) من حديث عمرو بن الحمق، وحسن إسناده الأرنؤوط في تحقيقه لسير أعلام النبلاء (٣/ ٤٣٤) ولفظ: (حتى يرضى عنه جيرانه أو حبب إليه جيرانه) عند الحاكم، وعند الخرائطي في مكارم الأخلاق (١/ ٦١) وفي الباب عند الترمذي وغيره عن أنس، وعند أحمد عن أبي عنبة الخولاني.

ألا ترون أنها نصوص كثيرة وعظيمة قد أعطت الجار أقساطاً لا تنتهي من الرحمة، نشعر معها بالندم والتقصير مع جيراننا!!

بل لو تأملت الحكمة التي من أجلها شرع لنا الإسلام خمس صلوات تؤدى في المسجد، لعلمت أن كل أولئك الذين يصلون في المسجد هم جيرانك!!

فما أجمل (الرحمة) و(الإحسان) و(الطهارة).

كما ينبغي أن نتدرب على الإحسان بالجار بكل صور الإحسان، وأن نتجنب جميع أشكال الأذى!! وحتى حين يكون الجار على دين غير الإسلام، فإن محمداً - عليه الصلاة والسلام - يكفل له حق الجوار، والإحسان له في ذلك!!

وقد كان محمد - عليه الصلاة والسلام - له جيران من اليهود وغيرهم من غير المسلمين، ومع ذلك كان يهدي لهم ويقبل هديتهم، ويزور مريضهم، ويحسن تعاملهم، فلا غش ولا خديعة ولا ظلم!!

بل ها هو أحد تلاميذه: الصحابي عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: يذبح شاة ويقول لأهله: أأهديتم لجاري اليهودي؟! فإني سمعت رسول الله - عليه الصلاة والسلام - يقول: «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»[٢٧٣]. (أي: يمنحه حقاً في الميراث من كثرة ما أوصاني بالجار).

وها هي الحضارة والمدنية تضرب في الأرض أطنابها، وتشد رواقها، فينهمك الناس بأعمالهم، ويتشاغلون بهموم أنفسهم عن تفقد بعضهم!!

---

(٢٧٣) أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٦/ ٦١) (٢٠٠٧)، وأبو داود في سننه (٤/ ٣٣٨) (٥١٥٢) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٢٦٤) (٥١٥٢)، وهو في الصحيحين من حديث عائشة وابن عمر رضي الله عنهم.

فلا جار يسأل عن جار!! ولا أحد يعرف حال أهل تلك الدار!!

ألهـم حاجـة فتقـضى! أم لهـم مـريض فيـسلى! أم لهـم ميـت فيعـزى!! أم عنـده فـرح فيهدى!!

ألا أيها العالم.. أيها الناس!! إننا بحاجة ماسة إلى العودة بالمجتمع البشري إلى الهدي المحمدي، فلم تعد المسألة مسألة اختيار!!

فـو الله لـولاه مـا علمنـا ذلـك الحـق العظـيم والفـضل الكبـير للجـار، فقومـوا معـي نصافح نبي (السلام)!! إنه نبي (الإسلام)!!

٢٦- رحمتــه بخصومه وأعدائه:

كان الناس ولا زالوا مختلفين في أشياء كثيرة، ولـو شـاء ربـك لآمـن مـن في الأرض كلهم جميعاً!! لكن هكذا اقتضت حكمة الله!! ولولا الكذب ما ظهر بريق الصدق!!

فـ(الله) الذي لا شيء أعظمُ منه وأجّلّ، وُجد من البشر مـن يكفـر بـه!! ليعبـد أحـد مخلوقاته!! أو يجعل له نداً وشبيهاً، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وعلى الرغم من الأمر الواضح، والدين القويم، والخلق العظيم الذي جاء بـه محمـد - عليه الصلاة والسلام، إلا أنه كان له خصوم وأعداء، شرقوا بدعوته!!

من أولئك من استمر في عناده وعدائـه السافر، ومـنهم مـن أراد الله لـه الخـير فنـدم وتاب حين عرف خطيئته.

وتعالوا بنا لنرى كيف انتصر عليهم محمد - عليه الصلاة والسلام - بحلمه وعفـوه ورحمته!!

ها هم مشركوا مكة وكفار قريش منذ بدايات دعوته يناصبونه العداء!!

ويستخدمون ما يستطيعون من كلمات لتشويه الحقيقة وتزييف الواقع، فينشرون أنه (شاعر)!! ويقولون إنك (لمجنون)!! ويروجون بأنه (ساحر وكاهن)!!

ويزداد الأمر سوءاً فيؤذونـه في جسده، فتـارة يلقـون في طريقـه الأشـواك، وأخـرى أشد وأنكى، وذلك حين وضعوا القذر والنجاسة على ظهره وهو يصلي عند الكعبة!!

ويمتد غيهم وطغيانهم به وبمن تبعه، فيحاصرونه في الشعب شعب بني عامر حتى يضطرهم الأمر أن يأكلوا من ورق الشجر!!

ولا زالوا قلقين خائفين من ظهور دعوته، فاجتمعوا لبحث ذلك الأمر في دار الندوة، ليخرجوا بقرار نهائي، هو وجوب (قتله)، على أن يكون تنفيذ ذلك من قبائل متعددة ليتفرق دمه بين القبائل!!

ويضعون لذلك جائزة مقدارها "مائة من الإبل" لمن يأتي به حياً أو ميتاً!! وتبدأ المطاردات والملاحقات منذ ذلك الوقت!!

حتى إنهم جاءوا بعد ذلك بسنوات ليقاتلوه عند سور مدينته التي فتحها بالحب والسلام، فتقع معارك كمعركة (أحد)، و(الأحزاب)!!

كل ذلك (الإرهاب) من قريش! كيف تغلب عليه محمد - عليه الصلاة والسلام؟!

- الصلح والفتح -

كان محمد - عليه الصلاة والسلام - قد أبرم صلحاً مع قريش، عُرف ذلك الصلح باسم: (صلح الحديبية)، إلا أن حلفاء قريش وأتباعها لم يلتزموا بنود ذلك الصلح فنقضوه، فحُق لرسول الله - عليه الصلاة والسلام - أن يغزوهم، وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - قد كثر أتباعه، فسار إلى (مكة) وانضمت إليه في الطريق عدد من القبائل!!

وبينما كان يسير في طريقه، إذ جاءه بعض زعماء قريش، منهم: أبو سفيان بن الحارث، فقرأ عليه ما قال أخوة يوسف ليوسف: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾﴾، فيرد عليه النبي - عليه الصلاة والسلام - بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾[٢٧٤].

---

(٢٧٤) سورة يوسف، آية (٩١، ٩٢). =

فيدخل محمد - عليه الصلاة والسلام - مكة فاتحاً، ويُمكِّنه الله منها ومن أهلها، ولم يجد مقاومة تذكر!!

فأضحى أعداءه كفار قريش تحت يده وقدرته!!

فما تظنون أن محمداً فاعلٌ بهم، وهم الذي طالما آذوه؟!

هل قتلهم ونكلَّ بهم؟! هل أزهق أرواحهم واستباح دماءهم؟!

كل ذلك لم يكن، وإنما أعلن (العفو) العام، والأمن لمن سالم فقال: «**من دخل المسجد فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن**»(٢٧٥).

فلم يُعمل السيف في رقابهم، ولكنه أعمل السيف في رقاب شيء آخر؟!

أتدرون ما هو؟!

إنها أصنامهم التي كانوا يعبدون، وأوثانهم التي كانوا يصنعون!! وشركهم وما كانوا يأفكون!!

ألا فاشهدي يا جبال مكة، اشهدي يا (فاران)! وحدثي التاريخ بما تعلمين!! حدثيهم بأن محمداً سحق أعداءه برحمته!! وأباد خضراءهم بعفوه ومنته!!

= والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٤٣، ٤٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وجود إسناده الأرنؤوط في تحقيقه للزاد (٣/ ٤٠٠).

(٢٧٥) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٠٥) (١٧٨٠)، وأحمد (٢/ ٢٩٢) كما سبق في حاشية (٥٥)، ولم أورد قصة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» لأني لم أجد لها سنداً صحيحاً، وقد ذكرها كثير من أهل العلم استناداً لذكر ابن إسحاق لها.

ذلك ليعلم الجميع: أن الانتصار ليس بالقوة والبطش!! ولا بإزهاق الأنفس وكثرة الدماء!! وإنما الانتصار بما يحمله الإنسان من مبادئ حقه.. تفعل ما لا تستطيع فعله القنابل والدبابات!!

وها هي قبائل العرب تسمع بانتصار الحق والرحمة والعفو، على التمرد والباطل والطغيان!! فتأتي مسلمةً تبايع محمداً على (الإسلام)!!

إنه الفتح الذي استبشر به أهل السماء، وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، وأشرق به أهل الأرض ضياءً وابتهاجاً!!

وهكذا تبقى تلك الصفحة البيضاء في جبين التاريخ، تحدث كل من رآها فتقول: ألم تعلموا أنه الذي قال الله له: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[٢٧٦].

- لا تقتلوها -

نحن اليوم مع طائفة المكر، وتاريخ الخديعة، مع امرأة يهودية تريد قتل محمد - عليه الصلاة والسلام، ولكنها أتت إليه بصورة المحب، ومعها لحم من شاة طبختها لتهدي النبي - عليه الصلاة والسلام، وقد ملأتها بالسم، فيقبل منها ويأكل!! ويشعر بذلك فيستدعي تلك المرأة فيسألها عن ذلك!! وما تريد؟! فتقول: أردت قتلك. فيقول: «**ما كان الله ليسلطك عليَّ**»، فيقول أصحابه: أفلا نقتلها يا رسول الله؟! فيقول: «**لا**»!![٢٧٧].

---

(٢٧٦) سورة الأعراف، آية (١٩٩).

(٢٧٧) أخرجه البخاري كما في الفتح (٥/ ٢٧٢) (٢٦١٧)، ومسلم (٤/ ١٧٢١) (٢١٩٠).

وتتوالى القصص الرائعة في سيرته الحافلة، لتبين أن محمداً - عليه الصلاة والسلام، لم يكن يريد شيئاً من الدنيا، ولم يكن ينتقم لنفسه!!

- سيد قومه تحت الأسر -

قبل أن يفتح النبي - عليه الصلاة والسلام - مكة، بعث خيلاً جهة نجد لأمر ما، فيجد أصحابه أولئك سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال، فيأتون به إلى المدينة، ويربطونه بسارية من سواري المسجد، فيخرج إليه النبي - عليه الصلاة والسلام - فيقول له: ماذا عندك يا ثمامة؟! فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تُنِعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه ثم جاء إليه من الغد، فقال له: ما عندك يا ثمامة؟! فقال: ما قلت لك، وذكر مقالته بالأمس. فتركه حتى كان من الغد فقال له: ما عندك يا ثمامة؟! فقال: عندي ما قلت لك. فقال النبي - عليه الصلاة والسلام -: أطلقوا ثمامة!!

فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد: والله! ما كان على الأرض وجه أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إليَّ، والله! ما كان من دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحبّ الدين كلّه إليَّ. والله! ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك. فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟! فبشره رسول الله، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أخرجت من دينك؟! فقال: بل أسلمتُ مع رسول الله - عليه الصلاة والسلام، ولا والله!! لا

يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله - عليه الصلاة والسلام -[٢٧٨]!!

وكانت اليمامة تصدر القمح إلى الحجاز، وثمامة سيد قومه باليمن.

لقد كانت تلك الأيام القليلة التي قضاها ثمامة بن أثال في المسجد، بمثابة دورة سريعة للتعرف على الحقيقة التي كان يجهلها ثمامة بن أثال، فلما رأى تلك الأخلاق العظيمة تخرج من تلك الدورة بشهادة "التوحيد"!!

يا لها من شهادة تحمل في طياتها كل معاني النجاح للمعلم قبل التلميذ.

فما أصدق النجاح! وما أبهج التلميذ! وما أروع المعلم!!

(٢٧٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (٧/ ٦٨٨) (٤٣٧٢)، ومسلم (٣/ ١٣٨٦) (١٧٦٤).

٢٧- محاولات إطفاء السراج!!

الآن تتعالى صيحات وصرخات في العالم الغربي، تسعى وبكل عنف لتشويه كل ما كتبته أنا وقرأته أنت في الأسطر الماضية!!

فتتهم محمداً - عليه الصلاة والسلام - بأنه (إرهابي)! أو أنه (متشدد)! أو أنه: (لم يفتح البلاد إلا بالسيف، والله لا تسره الدماء)!! وهكذا يخلطون الحق بالباطل!!

لم أتعجب كثيراً من ذلك، لأن هذه المقالات قديمة، لكنها كل يوم تأتي بصورة جديدة!! ولابد أن نعلم جميعاً أنه ليس من شرط النبوة أن لا يخالفها أحد، بل أخبرنا محمد - عليه الصلاة والسلام - أن بعض الأنبياء يجيء يوم القيامة وليس يتبعه إلا الرجل والرجلان، والنبي معه السواد الكثير من الناس!! والنبي ليس معه أحد!![٢٧٩].

مما يدل على أن الأنبياء يختلفون بكثرة التابع!!

وذات مرة كان النبي - عليه الصلاة والسلام - يقسم مالاً بين أصحابه فقال له رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله! فاحمرّ وجه رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وقال: «**يرحم الله موسى، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر**»[٢٨٠].

وهكذا استمر خصوم الأنبياء والرسل إلى يومنا هذا، فكان مما قيل ما ذكره بابا الفاتيكان "بنديكت السادس عشر" عن محمدٍ - عليه الصلاة والسلام، من أنه كان قد نشر عقيدته بالسيف، وأن الله لا تسره الدماء، ولا تسره التصرفات غير العقلية!!

---

(٢٧٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٢٢٢) (٥٧٥٢)، ومسلم (١/ ١٩٩) (٣٧٤).

(٢٨٠) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ٢٨٩) (٣١٥٠)، ومسلم (٢/ ٧٣٩) (١٠٦٢).

فأقول: هذا التلبيس والخلط والتمويه!! أسلوب شيطاني يلجأ إليه المغرضون حين يريدون صرف الناس!!

ويكفيك أن ترى كيف اختار "بنديكت السادس عشر" اسماً لباباوات سابقين عُرفوا بالدعوة للحروب التوسعية، ولذلك يحاول أن يوجد لنفسه مكاناً تحت الضوء، حتى يستطيع ملء هذا المكان، فالبابا السابق - يوحنا بولس الثاني - كان له دور في محاربة الشيوعية وسقوطها في بولندا موطنه الأصلي، ويبدو أن "بنديكت" يريد أن يقوم بدور ما عن طريق الهجوم على الإسلام، ليدخل عالم القديسين من أوسع أبوابه!!

ويبدو أن بعض الكتّاب والمثقفين أصبحوا أكثر نزاهةً وأقرب للحقيقة من هؤلاء الباباوات!!

- ذلك ما قالوه هم لا أنا -

دعني أذكر لك نقولات ونقاط سريعة تبين لك البعد التاريخي والسياسي لهذه المقولة، التي قالها البابا بنديكت (١٦) الذي يذكرني اسمه بالطائرات المقاتلة من طراز إف (؟؟):

(١) "إيزابيلا شاملا" المحللة السياسية الفرنسية المتخصصة في شؤون الشرق الأوسط تقول: إن أول مستهدف من انتخاب البابا الجديد هم المسلمون، ثم تذكرنا "إيزابيلا" بأول موقف ديني سياسي للبابا في أول قداس له عقب انتخابه بيوم واحد، أعلن فيه معارضته انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي!! لأجل أنها دولة مسلمة!![٢٨١].

(٢٨١) مجلة (المستقبل الإسلامي) العدد (١٨٥) ص (٢٤-٢٩).

(٢) "كيرن آرمسترونج Karen Armstrong" المؤرخة الشهيرة تكتب رداً على محاضرة البابا، تنكر فيه أن يكون الإسلام قد انتشر بالسيف، وهي صاحبة كتاب بالإنجليزية عنوانه: (موجز لتاريخ الإسلام A Short History of Islam) وتذكِّر البابا بأن بعض الصليبيين الأوائل بدؤوا رحلتهم إلى الأرض المقدسة بذبح كل الجماعات اليهودية الساكنة على ضفاف نهر الراين، وأنهم أنهوا حربهم الصليبية في عام (١٠٩٩) بعد أن ذبحوا ثلاثين ألف مسلم ويهودي في القدس.

(٣) "هنتنجتون" يقول في كتابه الشهير (صراع الحضارات): "لم يتغلب الغرب على العالم بتفوق في أفكاره أو قيمة أو دينه (الذي لم تعتنقه إلا قلة من أبناء الحضارات الأخرى)، وإنما غلب بتفوقه في العنف المنظم، إن الغربيين كثيراً ما ينسون هذه الحقيقة، لكن غير الغربيين لا ينسونها أبداً".

(٤) "كيفن فيليبس Kevin Philips" يصدر كتاباً جديداً يسميه: (أمريكا الثيوقراطية A merican Theocracy, Viking, 2006) يذكر فيه حقائق مذهلة عن العلاقة القوية بين الدين وسياسة أمريكا الخارجية، ومن ذلك ما ذكره أن الدوافع الدينية لبوش وجماعته في سياستهم الخارجية بل والداخلية أمر لا يُشك فيه، ويقول: أنه ثبت عن بوش أنه قال: "أعتقد أن الله يتكلم بوساطتي، ولولا ذلك لما استطعت أن أُؤدي مهمتي"، وينقل عن توم دي لاي قوله: "إن الله يستعملني دائماً وفي كل مكان، للدفاع عن نظرة الكتاب المقدس العالمية في كل ما أفعل وحيثما كنت، إنه هو الذي يدربني"!!

(٥) "يوري أفنيري Uri Avnery" رئيس حركة السلام الإسرائيلية – والذي يصف نفسه أنه ملحد – يكتب رداً علمياً على البابا يذكر فيه: أن محاضرة البابا بنديكت السادس عشر كانت خدمة للإمبراطور الجديد جورج بوش، الذي يسعى

لتوحيد العالم النصراني ضد محور الشر الذي هو في غالبه مسلم، وضد مجيء الأتراك إلى أوروبا!![٢٨٢].

فإذا ما ضممت هذه النقولات إلى وصف كبير الحاخامات في تل أبيب للبابا بنديكت السادس عشر بأنه "صديق حميم للشعب اليهودي" وقول "سليفان شالوم" وزير الخارجية في ذلك الوقت: "بالنظر إلى ماضي البابا الجديد، فإننا مقتنعون بأنه يواصل بصرامة محاربة العداء للسامية"!!

وأخطر من ذلك كله: أن "بنديكت" كان ينتمي في شبابه لـ "الشبيبة النازية" في الفترة بين عامي (١٩٤١ و ١٩٤٤)، وكان ذلك يشكل ضغوطاً متواصلة عليه من قبل المنظمات الصهيونية للخضوع لإملاءاتها!!

ولربما صدق من قال باختراق اللوبي الصهيوني للكنيسة الكاثوليكية، وأنها تحاول إحداث قطيعة بين العالم الإسلامي والفاتيكان، وتأليب النصارى ضد المسلمين، كما حدث عندما تحالف اللوبي الصهيوني مع اليمين المحافظ في واشنطن ضد المسلمين، وتبني المحافظين لأجندة جماعات الضغط الصهيونية ضد العرب والمسلمين وتحويلهم إلى "محور الشر"، خاصة بعد أن وصل المحافظون إلى البيت الأبيض، وتحكموا في صناعة القرار.

على حين لم تهتم الحضارة الإسلامية طوال فترات ازدهارها أو حتى خلال فترات انحطاطها بكراهية أية رموز لأديان أو حضارات أخرى، ولا يوجد في التراث الإسلامي أية كتابات كراهية عن رموز الأديان الأخرى كما نجد في التراث الغربي

---

(٢٨٢) انظر في جميع النقولات الماضية مجلة (البيان) العدد (٢٣٠) ص(٤٨-٥٠). من مقال لـ د. جعفر شيخ إدريس.

المتوفر، بل إن الغريب: أن التراث الغربي لا يوجد به أمثلة أخرى من الاحتفاء بكراهية أي شخص على مر القرون العشر الماضية، بخلاف النبي الكريم محمد - عليه الصلاة والسلام -!!

حقاً. إنها ظاهرة مَرَضِيّة، لم يشارك الغرب فيها أيٌّ من الحضارات الأخرى، فهي تستحق التوقف والدراسة والتحليل!!

ويبقى في العالم أقوامٌ تزعجهم أشعة شمس الحقيقة!! وبودهم أن يظل الناس في الظلام!!

فكلما رأوا أن السراج ظهر نوره لأولئك!! انطلقوا مسرعين ليطفؤه!!

ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون...

٢٨- فسقط السيف من يده!!

في غزوة ذات الرقاع يأخذ جيش محمد - عليه الصلاة والسلام - مكاناً ليستريح فيه، إذ لم يكن في تلك الغزوة قتال، فيذهب النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى شجرة ليستريح في ظلها، فنزع سيفه وعلقه في فرع من فروعها، وكان يرقب المشهد من بعيد رجلٌ من المشركين، فرأى السيف معلقاً والرسول - عليه الصلاة والسلام - مستريحاً نائماً، ولا أحد من المسلمين قريباً منه، فتسلل وأخذ السيف المعلق، وقام على رأس رسول الله - عليه الصلاة والسلام - وقد سلّ السيف، فقال: من يمنعك مني؟!

فقال الرسول: (الله)، فسقط السيف من يده!!

فأخذه رسول الله - عليه الصلاة والسلام - فقال له: من يمنعك منِّي؟!

فقال: كن خير آخذ قدِر. فقال: أتشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟! قال: لا، غير أني لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك، فخلى سبيله، فانطلق الرجل إلى أصحابه وقال لهم: جئتكم من عند خير الناس!![٢٨٣].

تلك القصة لم تكن أسطورة لا صحة لها، بل قصة حقيقية أثبتتها دواوين الإسلام المتعددة التي يرويها علماء الإسلام بالأسانيد التي تميز بها علمهم، وهي أعظم دليل على صدق نبوة محمد - عليه الصلاة والسلام، إذ هو تحت عناية ربه، ولذا حماه من هذا الرجل!! وأنت حينما قرأت العنوان لم تعرف ما القصة، ولكنك حينما قرأت القصة بأكملها تشكل في ذهنك قصة لها أول وآخر!! وهكذا يصنع خصوم محمد - عليه

---

(٢٨٣) أخرجه البخاري كما في الفتح (٧/ ٤٩٠) (٤١٣٥)، ومسلم (١/ ٥٧٦) (٨٤٣) و(٤/ ١٧٨٦) (٨٤٣) ولم يأت في روايتهم أنه سقط السيف، ولكن جاءت عند أبي الشيخ في أخلاق النبي (١/ ٢٤٣) وعند غيره وسندها صحيح.

الصلاة والسلام - فإنهم يبترون الحقيقة، فيأتون بأجزاء منها، ثم يمزجونها بعبارات أخرى، فتبدو عكس ما جاءت له.

ومن ذلك ما ذكروه من أن محمداً - عليه الصلاة والسلام - نشر دينه بالسيف، وأن دينه دين عنف وقتل!!

ولأجل بيان هذا الأمر، لابد أن نسأل أنفسنا، لماذا قاتل محمد - عليه الصلاة والسلام -؟! ومتى؟! وكيف كان ذلك؟! وما الآثار الناتجة بعد ذلك؟!!

أولاً:

هو (رسول الله)، وإذا أدركنا ذلك جيداً، فلن يبقى في أذهاننا تساؤلات، فهو إذن ينفذ أمر الله حين يخرج للجهاد والقتال.

ومما يؤكد ذلك: أن القاعدة التي يقوم عليها النظام الإسلامي، تختلف عن القواعد التي تقوم عليها الأنظمة البشرية جميعاً... إنه يقوم على أساس أن الحكم لله وحده، فهو الذي يشرع وحده، وسائر الأنظمة تقوم على أساس أن الحكم للإنسان، فهو الذي يشرع لنفسه... وهما قاعدتان لا تلتقيان.

ثانياً:

جاهد محمد - عليه الصلاة والسلام - ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها، وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم، وقرر مبدأً عظيماً يبين أن الفتنة أشد من القتل.. فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها، وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها، فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم.

ثالثاً:

جاهد محمد - عليه الصلاة والسلام - لأنه جاء من عند ربه بأكمل تصور للوجود والحياة، وبأرقى نظام لتطوير الحياة، جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها، ويبلغه إلى أسماعها وقلوبها، فمن شاء بعد البلاغ والبيان فليؤمن، ومن شاء فليكفر، فلا إكراه في الدين.

ولكن ينبغي قبل ذلك: أن تزول العقبات عن طريق إبلاغ هذا الخير ودعوة الناس له، وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلى موكب الهدى إذا أرادوا، ومن هذه الحواجز: تلك النظم الطاغية التي تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين.

فجاهد محمد - عليه الصلاة والسلام - ليحطم هذه النظم الطاغية، ليقيم مكانها نظاماً عادلاً يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان، وحرية الدعاة إليه.

رابعاً:

جاهد محمد - عليه الصلاة والسلام - لإقامة (العدل) ورفع (الظلم) الذي يبلغ منتهاه حينما يعبد الخلق بعضهم بعضاً، ويتركون من خلقهم!!

فجاء دينه ليقرر العبودية لله وحده الكبير المتعال، ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها، فليس هناك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس، وتستذلهم تبعاً لذلك، إنما هناك رب واحد للناس جميعاً، هو الذي يشرع لهم على السواء.

فحقق بذلك حرية الإنسان تجاه أخيه الإنسان.

خامساً:

لم يحمل محمد - عليه الصلاة والسلام - السيف ليكره الناس على اعتناق دينه وعقيدته، ولم ينتشر بالسيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه!! إنما ليقيم نظاماً آمناً يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعاً، ويعيشون في إطاره خاضعين له، وإن لم يعتنقوا عقيدته.

وها هو (يوري أفنيري Uri Avnery) يقول:

"إن قضية معاملة المسلمين لأهل الأديان الأخرى، يجب أن يحكم عليها بسؤال بسيط: ماذا فعلوا بهم عندما كانت لهم القدرة على إكراههم على الإسلام؟! إنهم لم يفعلوا شيئاً من هذا.

لقد حكم المسلمون اليونان لعدة قرون؛ فهل صار اليونانيون مسلمين؟! لقد تبوأ اليونان النصارى مناصب كبيرة في الإدارة التركية، لقد عاش البلغاريون والصرب والرومانيون والهنغاريون وغيرهم من الأمم الأوروبية تحت الحكم التركي؛ لكن أحداً لم يكرههم على الدخول في الإسلام، فظلوا على دينهم النصراني.

كما أنه ليس هناك دليل البتة على فرض الإسلام على اليهود، وكما هو معروف، فإن اليهود تمتعوا تحت الحكم الإسلامي في أسبانيا بازدهار ليس له مثيل إلا في ما يقارب هذه الأيام، كانوا كتاباً وشعراء ووزراء وعلماء.

لقد كان ذاك هو عهدهم الذهبي، فكيف يمكن لهذا أن يحدث إذا كان النبي قد أمر بنشر الإسلام بالسيف؟!

وعندما استولى الكاثوليك على أسبانيا مرة أخرى، فإنهم أنشأوا عهداً من الرعب الديني، إذ إنهم خيروا المسلمين واليهود بين أن يتنصروا أو يُذبحوا أو يغادروا البلاد، أين ذهب اليهود الذين فضلوا البقاء على دينهم؟!

هاجروا إلى العالم الإسلامي، وانتشروا فيه من دولة المغرب في الغرب إلى العراق في الشرق، إلى بلغاريا (التي كانت تابعة لتركيا) في الشمال، إلى السودان في الجنوب!!

إن كل يهودي مخلص يعرف تاريخ قومه، لا يملك إلا أن يشعر بالعرفان العميق للإسلام الذي حمى اليهود على مدى خمسين جيلاً، بينما كان العالم المسيحي يعذبهم ويحاول إكراههم بالسيف على التخلي عن دينهم"[٢٨١].

سادساً:

(القناعة) كان هذا العنصر هو الأمضى والأكثر تألقاً في اعتناق الناس للإسلام، ولذا لما بعث محمد - عليه الصلاة والسلام - معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً أهل كتاب (يعني: اليهود والنصارى) فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، فإن هم أطاعوك لذلك... إلخ**»[٢٨٤].

وهكذا كان يوجه بإقناع الناس بالحقيقة.

وكانت الوفود من قبائل العرب تأتي بنفسها إلى مدينة رسول الله لتبايعه على الإسلام.

وإن دولاً بأكملها كدول شرق آسيا اعتنقت الإسلام، عن طريق التجار المسلمين - آنذاك - حين رأوا منهم الصدق والخُلق الحسن.

---

(٢٨٤) أخرجه البخاري كما في الفتح (٣/ ٣٠٧) (١٣٩٥)، ومسلم (١/ ٥٠) (١٩).

بل كيف نفسر سرعة انتشار الإسلام على الرغم من أن ما ينفقه (المسيحيون) في سبيل دينهم أضعاف أضعاف ما ينفقه المسلمون؟!

والسبب في ذلك أن (الإسلام) هو دين الفطرة ودين التوحيد.

فهل يدرك العقلاء ذلك؟!!

- سيف ورحمة -

حتى في ساحة المعركة لم تتخلف رحمة محمد - عليه الصلاة والسلام، فها هو قد عفى عن ذلك الرجل الذي أراد قتله بعد أن قدر عليه، حتى ذهب وهو يقول في نفسه: هو خيرٌ مني، ولا زال ذلك الصفح يفعل فعله في نفسه حتى أسلم وأخذ يدعو قومه إلى الإسلام!!

وكان النبي - عليه الصلاة والسلام - يقول لأصحابه: «**يا أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا**»(٢٨٥).

وكأن المعنى أن يتمنى المسلمون إسلام هذا العدو، فإن ذلك هو المقصود الأعظم، فليس المقصود حب الشر أو التعطش للدماء، بقدر ما هو حب الخير ونشر رسالة السماء!!

ثم إذا ما وقع القتال فهو يوجه قادة الجيش وجميع الجند، بأن لا يقتلوا النساء ولا الصبيان(٢٨٦).

---

(٢٨٥) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ١٨١) (٣٠٢٦)، ومسلم (٣/ ١٣٦٢) (١٧٤١-١٧٤٢).

(٢٨٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (٦/ ١٧٢) (٣٠١٥)، ومسلم (٣/ ١٣٦٤) (١٧٤٤).

كما يروى عنه قوله عند الجهاد: «**لا تقتلوا شيخاً فانياً (أي: كبيراً)، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأة**»(٢٨٧).

ولذلك كان خلفاؤه من بعده يوصون الجند بذلك، فاقتصر القتل على (المقاتِلين)!

وحتى هؤلاء المقاتلين يُحرِّم محمد - عليه الصلاة والسلام - الغدر بهم بنقض عهدهم، أو التمثيل بهم قبل الموت أو بعده، وذلك بتعذيبهم بقطع أطرافهم أو جدع أنوفهم أو نحو ذلك(٢٨٨).

وهذا يُظهر لنا رحمة محمد - عليه الصلاة والسلام - بالإنسان على أنه إنسان، ولما كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمرّوا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض - أي: أهل الذمة غير المسلمين - فقالا: إن النبي -

---

(٢٨٧) أخرجه أبو داود كما في عون المعبود (٧/ ١٩٦) (٢٦١١)، ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٥٣) (١٨١٥٣)، وفي إسناده خالد بن الفزر، قال عنه ابن معين: ليس بذاك، ووثقه ابن حبان، وعده ابن حجر في التقريب: " مقبول "، فيكون حديثه (لين)، لكن البيهقي خرج في سننه (٩/ ١٥٤) (١٨١٥٥) عن علي بن أبي طالب مرفوعاً نحوه. ثم قال: في هذا الإسناد إرسال وضعف، وهو بشواهده مع ما فيه من الآثار يقوى، والله أعلم.

قلت: ولا يعارضه ما أخرجه الترمذي كما في تحفة الأحوذي (٥/ ١٧٢) (١٦٣٢)، وأبو داود كما في عون المعبود (٧/ ٢٣٧) (٢٦٦٧) من حديث الحسن عن سمرة مرفوعاً: «اقتلوا شيوخ المشركين، واستحيوا شرخهم» فإن الشرخ: الغلمان الذين لم ينبتوا، والشيوخ: الرجال الأقوياء أهل النجدة والبأس لا الهرمى الذين لا قوة لهم، على أن هذا الحديث من رواية الحسن عن سمرة: والعلماء يذكرون أنه لم يسمع منه إلا حديث العقيقة.

(٢٨٨) أخرج النهي عن ذلك مسلم (٣/ ١٣٥٧) (١٧٣١)، وانظر: الفتح (٧/ ٥٢٤) (٤١٩٢).

عليه الصلاة والسلام - مرت به جنازةٌ فقام. فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: «**أليست نفساً؟!**»[٢٨٩].

لقد وقف محمد - عليه الصلاة والسلام - إعظاماً لله الذي برأ هذه الروح، وقد أذن الآن بقبضها، وبُعث هو بالرحمة لها فأبت، فأشفق عليها أن لم تكن آمنت، أو كسبت في إيمانها خيراً!!

حقاً. لقد كان - عليه الصلاة والسلام - يريد الخير حتى للمشركين الذين قاتلهم، ولما قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: «**إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة**»[٢٩٠].

---

(٢٨٩) أخرجه البخاري كما في الفتح (٣/ ٢١٤) (١٣١٢)، ومسلم (٢/ ٦٦١) (٩٦١).

(٢٩٠) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٧) (٢٥٩٩).

٢٩- نحو مجتمع سعيد:

نخطئ كثيراً حينما يتجه أحدنا إلى العناية بالطِيبِ المصنوع ويتجاهل الطيب المطبوع، أعني به: طهارة السريرة وحُسن الخُلق والسيرة!!

وننسى الفرق بين الطيب الذي يذهبُ مع الهواء وأدراج الرياح، والطيب الذي يستقر في النفوس والأروح!!

وكم هو الفرق بين طيبٍ يمكن أن يتطيب به خبيث النفس والخُلق، وطيب لا يتحلى به إلا من سمت نفسه عن دَنَايا بني البشر!!

إننا يمكن أن نبني بأخلاقنا مجتمعاً سعيداً تشرأب له الأعناق، كما يصح لغيرنا أن يطأطئوا رؤوسهم خجلاً عندما تسوء أخلاقنا!

وعندما نريد أن نذكر ما قال محمد - عليه الصلاة والسلام - في ذلك، نجد أنه أولى الأمر عنايةً من نوع خاص، فله في ذلك الأقوال الكثيرة، ويكفي أن تعلم أنه قال: «**إنما بعثت!! لأتمم صالح الأخلاق**»[٢٩١].

وأنا كغيري ممن يحبون أن يتحدثوا عن هذا الموضوع، فذاك أمر لا يتطلب سوى تحريك الشفتين لا أكثر!!

لكن الشيء الذي قد لا نحسنه، سر التميز وبيت القصيد، وذلك بأن يكون سلوكنا رائع يحبنا الناس من أجله!!

وقد قيل: كن ذا خلق تكن سعيداً!! فإن لم تكن سعيداً فقد أسعدت من حولك!!

---

(٢٩١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١) واللفظ له، ومالك في الموطأ (٣/ ٩٧) بلفظ (حسن) بدل (صالح)، وأخرجها غيرهم بلفظ: (مكارم)، وصحح إسناده أحمد شاكر.

وهذا العنوان يشعرني بنوع من الحزن وأنا أكتبه الآن، كلما تذكرت أني أوشكت على نهاية الكتابة عن محمد - عليه الصلاة والسلام، وأني أوشكت على توديع قرائي الكرام!

لكني سوف أكفكف الدمع قليلاً، لأستمتع معكم بمواقف اخترتها لكم عشوائياً، كان لها بالغ الأثر على أسعد مجتمع عاش فيه مخلوق!!

كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يجلس مع الناس كثيراً، فيحدثهم ويستمع منهم، فتقع القصص التي يرى فيها ذلك الجيل أخلاق محمد - عليه الصلاة والسلام - وطريقته في التربية والتعليم، فأضحى ذلك المجتمع سعيداً بمحمد - عليه الصلاة والسلام، وأضحى العالم بأسره سعيداً بذلك المجتمع.

جلس محمد - عليه الصلاة والسلام - بين أصحابه ذات يوم، فأُتى بشراب فشرب منه، وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟! فقال الغلام - وكان نجيباً -: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحد، فوضعه النبي - عليه الصلاة والسلام - في يده[٢٩٢].

إنها صورة رائعة تظهر لنا كيف كان محمد - عليه الصلاة والسلام - يُجلس الصغار والكبار في مجلس واحد!!

وكيف كان يتعامل معهم جميعاً، وكان من طريقته في الشراب أن يعطي من يمينه ولو صَغُر سنه، فلما رأى الأكبر منه سناً عن يساره استأذن هذا الغلام، ولما كان الغلام يحب النبي - عليه الصلاة والسلام - محبة عظيمة، أجاب بإجابة رائعة تبين احترامه لهؤلاء الأشياخ، لكن محبة الرسول أعظم!!

---

(٢٩٢) أخرجه البخاري كما في الفتح (١٠/ ٨٩) (٥٦٢٠)، ومسلم (٣/ ١٦٠٤) (٢٠٣٠).

وقد ذكر المتخصصون في الدراسات النفسية: أن الشباب الصغار يقاطعون مجتمع الكبار، ويتجهون لتشكيل بيئات وثقافات خاصة بهم، لها لغتها ورموزها، وفوق ذلك لها نظام قيم مختلف عن نظام الكبار.

ويضيف بعض الباحثين: أن المراهقين يتجهون إلى الشركاء المقربين ممن هم في السن نفسه، للحصول على الأمن والتأييد، في وسط مجتمعات الكبار البعيدة عن عالمهم وأحاسيسهم ومشكلاتهم(٢٩٣).

فالمراهق إذن يقع في حصار نفسي، فرضه على نفسه بحكم عامل السن، وربما فرضته تصرفاتنا نحن الكبار!!

بينما نلاحظ أن النبي - عليه الصلاة والسلام - فك هذا الحصار ومنحهم التأييد الذي يحتاجونه، فكان قريباً من عالمهم وأحاسيسهم ومشكلاتهم، وذلك حينما كان قريباً من قلوبهم وقلوب آبائهم!!

ومرة أخرى: يأتي إليه شاب مندفع يتوقد شهوة ورغبةً في النساء، فيقول: يا رسول الله! ائذن لي بالزنا!! فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: ادنه، فدنا قريباً منه، فجلس. فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم. قال: أتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم. قال: أتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم. قال: أتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم. قال: أتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ولا الناس يحبونه

(٢٩٣) "المراهقون" لـ د. عبد العزيز النغيمشي، ص(٦٥).

لخالاتهم، ثم وضع النبي - عليه الصلاة والسلام - يده عليه ودعا له وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه**». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء من ذلك[٢٩٤].

لم ينهره النبي - عليه الصلاة والسلام - ولم يزجره، وإنما استعمل معه أسلوب الإقناع العقلي والمحاورة، ثم دعا له بالطهارة والعفة، فكان لذلك عظيم الأثر على قلبه وروحه.

- تواضع جم وحُب عميق -

يحدثنا الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه فيقول: ركب النبي - عليه الصلاة والسلام - يوماً على حمار له يقال له (يعفور) ثم قال: "اركب يا معاذ! فقلت: سر يا رسول الله، فقال: اركب، فردفته فصرع الحمار بنا! فقام النبي - عليه الصلاة والسلام - يضحك، وقمت أذكر من نفسي أسفاً. ثم فعل ذلك الثانية ثم الثالثة، فركب وسار بنا الحمار، فأخلف يده فضرب ظهري بسوط معه (أي: كان معاذ خلفه فضربه بالسوط ضرباً خفيفاً يمازحه)، ثم قال: يا معاذ! هل تدري ما حق الله على العباد؟! فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. ثم سار ما شاء الله، ثم أخلف يده فضرب ظهري فقال: يا معاذ! يا "ابن أم معاذ"!! هل تدري ما حق العباد على الله إذا هم فعلوا ذلك؟! قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة!![٢٩٥].

---

(٢٩٤) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٤٥) (٣٧٠).

(٢٩٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٨) بهذا اللفظ، وأصله في الصحيحين، كما في الفتح (١٠/ ٤١٢) (٥٩٦٧)، ومسلم (١/ ٥٨) (٣٠).

يا للتواضع الجم!!

يا لها من قصة طريفة مفيدة!! إنه (يبتسم) وهو يدعو إلى "التوحيد"!!

ثم هو يودعنا و"يبتسم"!!

ففي مرضه في اليوم الذي مات فيه، فاجأ الرسول - عليه الصلاة والسلام - المسلمين بكشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم يصلون الصبح، ثم "تبسم"، فنكص أبو بكر رضي الله عنه على عقبيه ليصل الصف، ظناً منه أن الرسول - عليه الصلاة والسلام - يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهمّ المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله - عليه الصلاة والسلام، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[٢٩٦].

فبكيٍّ رسول الله يا عين عبرة ... ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي ... على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي ... لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد ... ولا مثله حتى القيامة يفقد[٨٦]

ألا ما أروع تلك الرسالة!!

إنها رسالة تفيض بالمحبة والسعادة، والتواضع والبشاشة!!

إنها مليئة بالبسمة، والبشرى، والرحمة لكل إنسان!!

---

(٢٩٦) أخرجه البخاري كما في الفتح (٧/ ٧٥٠) (٤٤٤٨).

٣٠- اعتـراف وعـــرفان:

أشكر لكم من القلب - يا معاشر القراء، حيث منحتموني الثقة فقرأتم لي، فغدوت لكأنما حللت ضيفاً في دار أحدكم، فأكرمني وأطعمني، وشكري لكم حيث لا أملك أن أكافئكم، إذ أن رسولنا الكريم علمنا أن نرد المعروف فنكافئ أهله بالمعروف، فإن لم يكن فلا أقل من الشكر!!

لكني أعدكم أنني سأقرأ غداً ما تقدمونه للآخرين، وأنا أجزم أن لديكم الكثير الكثير، وبالقراءة نمد بيننا جسور العلم والمحبة، وأول آية خالدة نزلت من القرآن الكريم هي: ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾.

ثم عليَّ أن أعترف أن أخلاق المسلمين اليوم، لا تمثل أخلاق محمد - عليه الصلاة والسلام -؛ لأنه قد اختلط بالماء ما اختلط على مر هذه القرون والسنين!!

فمن أراد الماء عذباً زُلالاً لم يصبه شيء من وضر هذه الحياة، فعليه أن يصعد إلى قمة الجبل، ليأخذ الماء من ينبوعه الصافي.

ذلكم هو محمد - عليه الصلاة والسلام - الذي قال فيه ربه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾[٢٩٧].

قال في التوراة: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين، (أي: حصناً للعرب إذ لم يكن لهم شأن قبل ذلك)، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق (السخب والصخب: ارتفاع

(٢٩٧) سورة الأحزاب، آية (٤٥-٤٦).

الصوت والخصومة في السوق)، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفوا ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا:

لا إله إلا الله، فيفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً"(٢٩٨).

وقد كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يسمي نفسه أسماءً فيقول: «**أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**»(٢٩٩).

فأسماؤه كلها نعوت ليست أعلاماً محضة لمجرد التعريف، بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال.

ومن خصائصه التي خصه الله بها: أن ضمَّن أسماءه ثناءه، فطوى أثناء ذكره عظيم شكره؛ فمن الطريف أن تجد أعداءه وخصومه حينما يذكرونه، يقولون: (محمد)! وما علموا أنهم مدحوه بذلك!!

ومن الآيات الباهرة: أن الله حمى اسميه (محمد وأحمد) أن يسمي بهما أحدٌ قبل زمانه، على أن الكتب السماوية والأنبياء بشروا به!!

أما (أحمد) فما عُلم أن أحداً من العرب أو غيرهم تسمى به قبله.

وأما (محمد) فكذلك، إلا أنه شاع قُبيل وجوده وميلاده، أن نبياً يبعث اسمه (محمد) فسمى قوم قليل من العرب أبناءهم بذلك رجاء أن يكون أحدهم هو، والله أعلم حيث يجعل رسالته!!

---

(٢٩٨) أخرجه البخاري كما في الفتح (٨/ ٤٤٩) (٤٨٣٨) من قول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢٩٩) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٢٨) (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري، وهو في شمائل الترمذي ص(٣٠٦) (٣٦٨) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ومعنى هذه الأسماء:

(محمد): كثير الخصال التي يُحمد عليها، فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر، فهو أجل من حَمِد ربه وأفضل من حَمِده الناس.

(أحمد): أحمد الحامدين، وأحمد المحمودين، إذ يحمده أهل السماء والأرض، وأهل الدنيا والآخرة، لكثرة خصاله التي تفوق عدَّ العادين.

(المقفِّي): قفَّى على آثار من تقدمه من الرسل، فكان خاتمهم وآخرهم.

(الحاشر): الذي يحشر الناس على قدمه، ومن خلفه، فكان آخر الأنبياء ولا بعده إلا الحشر، وهو أول من تنشق عنه الأرض في ذلك اليوم، وهو الذي يشفع للناس في ذلك الموقف العصيب ليحاسبهم ربهم.

(نبي التوبة): إذ فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض، فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله، وكان أكثر الناس استغفاراً وتوبة.

(نبي الرحمة): فهو الذي أرسله الله رحمةً للعالمين، فرحم الله به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم، فكان دينه وتعاليمه رحمة للخلق، وما من أحد يقرأ سيرته وآدابه إلا ويستنير بها[٣٠٠].

وقدمنا أنه حينما قيل له - عليه الصلاة والسلام -: ادعُ على المشركين.

قال: «**إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمةً**»[٢٨٩].

لعل الجميع الآن. أدرك لماذا يريد خصوم (محمد) حجب هذه (الحقيقة)؟!!

---

(٣٠٠) انظر فيما ذكر (الشفا) للقاضي عياض (١/ ٢٢٨)، وزاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١/ ٨٦ -٩٧).

أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله
وأشهد أن عيسى عبد الله ورسوله
وكلمته ألقاها إلى مريم
وروح منه.

- ملاحظـــة:

تكرر أرقام الحواشي في متن الكتاب، ليس خطأً؛ وإنما لتكرر الحديث، أو موضع الإحالة، فليتنبه لهذا.

إني أتساءل بكل دهشة!! لماذا يهتم دينٌ ما.. بالهجوم الشرس على نبي دين آخر إلى درجة قاسية، تبعث في النفس الاشمئزاز مع الريبة؟!

ولماذا يحرصون - بتلك الصور - على أن يكرسوا مفهوماً قبيحاً شريراً في عقولنا، هل هذه طريقة تحفظ بها (الحقيقة) من الضياع؟! أو أنه ستار يسدل على بابها؟!!

حقاً.. كم تبدو العقول سخيفة حينما تطبل لشائعات وأخبار وأنماط، تروج لها وسائل الإعلام المختلفة، مستفيدة في ذلك من (الصورة) وتوظيفها و(الموروث البيئي والثقافي)، يغذيها في كل ذلك، التطرف الديني، والإرهاب الإعلامي والفكري.

(مغرورون) هم أولئك الذين يدفع كل واحد منهم شيطانه في ظلمة الليل، ليقفوا في طريق الناس ليصرفوهم عن (الطُهر)، ألا إنها ستشرق عليهم شمس (الحق)، فتحرق أقلامهم وما كانوا يأفكون!!!

المؤلف

ثبت المصادر والمراجع

١	القرآن الكريم.
٢	إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة. لحمود بن عبد الله التويجري ت ١٤١٣هـ، دار الصميعي - الرياض.
٣	الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان. لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي. ت ٣٥٤هـ. تحقيق د. كمال يوسف الحوت. دار الكتب العلمية - بيروت.
٤	الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة. للدكتور. إبراهيم علي السيد عيسى. مكتبة الرشد - الرياض.
٥	الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها. للدكتور. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي. مطبعة سفير - الرياض.
٦	أخلاق النبي ﷺ وآدابه. لأبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني. المعروف بأبي الشيخ. ت ٣٦٩هـ. دراسة وتحقيق.د. صالح محمد الونيان. دار المسلم - الرياض.
٧	الأذكياء. لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. ت ٥٩٧هـ. دار إحياء العلوم - بيروت.
٨	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل. لمحمد ناصر الدين الألباني. ت ١٤٢٠هـ. المكتب الإسلامي - بيروت.
٩	أروع المشاهد من سيرة الرسول الأعظم. للدكتور. محمد عبد المنعم خفاجي. دار الخير - بيروت.
١٠	الإسراء والمعراج. معجزة وحقائق - أسرار وفوائد. لخالد سيد علي. اليمامة للطباعة والنشر - دمشق.
١١	الإصابة في تمييز الصحابة. لابن حجر. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني العسقلاني. ت ٨٥٢هـ. دار صادر - بيروت.

١٢	الأنساب. لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني. ت ٥٦٢هـ دار الجنان - بيروت.
١٣	البداية والنهاية. لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي. ت ٧٧٤هـ. تحقيق. أحمد عبد الوهاب فتيح. دار الحديث - القاهرة.
١٤	تاريخ الأمم والملوك. لأبي جعفر محمد بن جرير بن زيد الطبري. ت ٣١٠هـ. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
١٥	التحديث بما قيل لا يصح فيه حديث. لبكر بن عبد الله أبو زيد. دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر.
١٦	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي. لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري. ت ١٣٥٣هـ. دار الكتب العلمية - بيروت.
١٧	تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف. لجمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي. ت ٧٤٢هـ. تحقيق. عبد الصمد شرف الدين - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة.
١٨	تغليق التعليق على صحيح البخاري. لابن حجر. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني. ت ٨٥٢هـ. تحقيق. سعيد القزقي - المكتب الإسلامي - دار عمار - الأردن (عمان).
١٩	تفسير القرآن العظيم. لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي. ت ٧٧٤هـ. دار الأندلس - بيروت.
٢٠	تقريب التهذيب. لابن حجر. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني. ت ٨٥٢هـ. تحقيق. عبد الوهاب عبد اللطيف. دار المعرفة - بيروت.
٢١	تهذيب التهذيب. لابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني. ت ٨٥٢هـ. تحقيق. مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٢	تهذيب سيرة ابن هشام. لعبد السلام محمد هارون. مكتبة السنة - القاهرة.

٢٣	الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني. ت ٨٢٧هـ. تحقيق وتعليق.د. علي ناصر، د. عبد العزيز العسكر، د. حمدان الحمدان. دار العاصمة – الرياض.
٢٤	حياة الحيوان الكبرى. لكمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري. ت٨٠٨هـ. دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٥	دفاع عن الحديث النبوي والسيرة والرد على جهالات الدكتور البوطي. لمحمد ناصر الدين الألباني ت ١٤٢٠هـ. مؤسسة ومكتبة الخافقين – دمشق.
٢٦	دلائل النبوة. لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني. ت ٤٣٠هـ. تحقيق. محمد رواس قلعة جي، وعبد البر عباس. دار النفائس – بيروت.
٢٧	دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة. لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي. ت٤٥٨هـ. تحقيق عبد المعطي قلعة جي. دار الكتب العلمية – بيروت.
٢٨	الرحيق المختوم. لصفي الرحمن المباركفوري. دار السلام – الرياض.
٢٩	زاد المعاد في هدي خير العباد. لابن القيم شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي. ت ٧٥١هـ. تحقيق. شعيب وعبد القادر الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٠	سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام. لمحمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني. ت ١١٨٢هـ. تحقيق. إبراهيم عصر. دار الحديث – القاهرة.
٣١	سلسلة الأحاديث الصحيحة. لمحمد ناصر الدين الألباني. ت ١٤٢٠هـ. المكتبة الإسلامية بعمان – مكتبة المعارف – الرياض.
٣٢	السنن. لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. ت ٢٧٣هـ. تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٣	السنن. لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. ت ٢٧٥هـ. مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٣٤	السنن. للدارمي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل أبو محمد السمرقندي. ت٢٢٥هـ. دار إحياء السنة النبوية.
٣٥	السنن (المجتبى). للنسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي. ت٣٠٣هـ. عناية. عبد الفتاح أبو غدة. دار البشائر الإسلامية - بيروت.
٣٦	السنن الكبرى. للبيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي. ت ٤٥٨هـ. تحقيق. محمد عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية - بيروت.
٣٧	السنن والآثار في النهي عن التشبه بالكفار. لسهيل حسن عبد الغفار. دار السلف - الرياض.
٣٨	السواك. للدكتور محمد علي البار. دار المنارة - جدة.
٣٩	سير أعلام النبلاء. لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. ت ٧٤٨هـ. محقق بإشراف. شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت.
٤٠	السيرة النبوية. لابن هشام أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري..ت٢١٨هـ. تحقيق حمام عبد الرحيم ومحمد عبد الله. مكتبة المنار - الأردن.
٤١	السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية. لمهدي رزق الله أحمد. مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض.
٤٢	سيرة خاتم النبيين. لأبي الحسن علي الحسني الندوي. مؤسسة الرسالة - بيروت.
٤٣	شرح السنة. لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي. ت ٥١٦هـ. تحقيق. شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش. المكتب الإسلامي - دمشق.
٤٤	الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى. لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي. ت ٥٤٤هـ. دار الكتب العلمية - بيروت.
٤٥	الشمائل المحمدية والخصال المصطفوية. لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. ت ٢٧٩هـ. تحقيق. سيد بن عباس الجليمي. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.

٤٦	صحيح الجامع الصغير وزيادته. لمحمد ناصر الدين الألباني. ت ١٤٢٠هـ. المكتب الإسلامي - دمشق.
٤٧	صحيح سنن ابن ماجه. لمحمد ناصر الدين الألباني. ت ١٤٢٠هـ. إشراف المكتب الإسلامي - بيروت.
٤٨	صحيح سنن أبي داود. لمحمد ناصر الدين الألباني. ت ١٤٢٠هـ. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.
٤٩	صحيح سنن الترمذي. لمحمد ناصر الدين الألباني. ت ١٤٢٠هـ. مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض.
٥٠	صحيح سنن النسائي. لمحمد ناصر الدين الألباني. ت ١٤٢٠هـ. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.
٥١	صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. ت ٢٦١ هـ. تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث - القاهرة.
٥٢	صحيح مسلم بشرح النووي. للنووي. محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي. ت ٦٧٦هـ. دار الريان للتراث - القاهرة.
٥٣	الطبقات الكبرى. لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي. ت ٢٣٠هـ. دار صادر - بيروت.
٥٤	العدالة الاجتماعية في الإسلام. لسيد قطب. دار الشروق - القاهرة.
٥٥	عون المعبود شرح سنن أبي داود. لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي. دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٦	غريب الحديث. لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي. ت ٢٢٤هـ. دار الكتاب العربي - بيروت.
٥٧	فتح الباري بشرح صحيح البخاري. لابن حجر. شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني. ت ٨٥٢هـ. ترقيم. محمد فؤاد عبد الباقي. وتصحيح. محب الدين الخطيب. دار الرياض للتراث - القاهرة.

٥٨	الفصول في سيرة الرسول ﷺ. لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي. ت ٧٧٤هـ. تحقيق. محمد الخطراوي ومحي الدين مستو. دار الكلم الطيب – دمشق.
٥٩	في ظلال القرآن. لسيد قطب. دار الشروق – القاهرة.
٦٠	القاموس المحيط. لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. ت ٨١٧هـ. مؤسسة الرسالة – بيروت.
٦١	قصص السيرة النبوية. لمحمد موفق سليمة. دار الهدى للنشر والتوزيع – الرياض.
٦٢	قوة التحكم في الذات. لإبراهيم الفقي. مؤسسة الخطوة الذكية – جدة.
٦٣	كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس. لإسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي. ت ١١٦٢هـ. دار التراث – القاهرة.
٦٤	كيف تقنع الآخرين. لعبد الله محمد العوشن. دار العاصمة – الرياض.
٦٥	لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. ت ٧١١هـ. دار صادر – بيروت.
٦٦	لماذا يكرهونه؟! لـ د. باسم خفاجي. سلسلة تصدر عن مجلة البيان.
٦٧	مجلة البيان. تصدر عن المنتدى الإسلامي بلندن. العدد ٢٣٠ شوال ١٤٢٧هـ.
٦٨	مجلة المستقبل الإسلامي. تصدر عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي. العدد ١٨٥ رمضان ١٤٢٧هـ.
٦٩	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي. ت ٨٠٧هـ. مؤسسة المعارف – بيروت.
٧٠	مجموع فتاوى ابن تيمية. لابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني. ت ٧٢٨هـ. جمع وترتيب. عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. مكتبة ابن قتيبة – الكويت.
٧١	المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للذهبي. للحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري. ت ٤٠٥هـ. دار المعرفة – بيروت.

٧٢	المراهقون دراسة نفسية إسلامية. لـ د. عبد العزيز محمد النغيمشي. دار المسلم – الرياض.
٧٣	المسند. للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. ت ٢٤١هـ. مؤسسة قرطبة – مدينة الأندلس – الهرم.
٧٤	المسند. للإمام أحمد بن حنبل الشيباني. ت ٢٤١هـ. تحقيق. أحمد محمد شاكر. دار المعارف – مصر.
٧٥	المسند. للطيالسي أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي. ت٢٠٤هـ. ترتيب. أحمد بن عبد الرحمن البنا الساعاتي. المنيرية بالأزهر – القاهرة.
٧٦	المصنف. لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. ت ٢١١هـ. تحقيق. حبيب الرحمن الأعظمي. منشورات المجلس العلمي، المكتب الإسلامي – بيروت.
٧٧	المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. لابن حجر. أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني. ت ٨٥٢هـ. تحقيق. حبيب الرحمن الأعظمي. دار المعرفة – بيروت.
٧٨	المعجم الأوسط. للطبراني. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. ت ٣٦٠هـ. تحقيق. طارق بن عوض الله بن محمد وعبد الحسن بن إبراهيم الحسيني. دار الحرمين – القاهرة.
٧٩	المعجم الصغير. للطبراني. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. ت ٣٦٠هـ. ضبط. كمال يوسف الحوت. مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت.
٨٠	المعجم الكبير. للطبراني. أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني. ت ٣٦٠هـ. تحقيق. حمدي عبد المجيد السلفي. وزارة الأوقاف العراقية – بغداد.
٨١	المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار. للعراقي. أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن. ت ٨٠٦هـ. مكتبة طبرية – الرياض.
٨٢	المعلم الأول قدوة لكل معلم ومعلمة. لفؤاد الشلهوب. دار القاسم – الرياض.

٨٣	المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعانيها ومحمود طرائقها. لأبي بكر محمد بن جعفر الخرائطي. ت ٣٢٧هـ. دار الفكر - دمشق.
٨٤	الموطأ، ومعه تنوير الحوالك شرح موطأ مالك. للإمام مالك بن أنس الأصبحي. ت ١٧٩هـ. مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة.
٨٥	نصب الراية لأحاديث الهداية. لجمال الدين أبي محمد عبد الله يوسف الحنفي الزيلعي. ت ٧٦٢هـ. دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٨٦	النهاية في الفتن والملاحم. لابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي. ت ٧٧٤هـ. ضبط وتصحيح. أحمد عبد الشافي. دار الكتب العلمية - بيروت.
٨٧	النهاية في غريب الحديث والأثر. لابن الأثير. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. ت ٦٠٦هـ. تحقق. طاهر الزاوي ومحمود محمد الطناحي. المكتبة العلمية - بيروت.
٨٨	نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. للخضري بك. محمد بن عفيفي الباجوري. ت١٣٤٥هـ. المكتبة العصرية - بيروت.
٨٩	هذا الحبيب يا محب. لأبي بكر جابر الجزائري. مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة.
٩٠	الوفاء بأحوال المصطفى. لابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي. ت ٥٩٧هـ. المكتبة العصرية - بيروت.

فهرس المواضيع

١ - معادلة صعبة!! **٥**
- لم تنته المعادلة بعد!! - ٨
٢ -القاعدة السهلة!! **١٠**
٣- عيسى - عليه الصلاة السلام - يصدق ويبشر: **١٥**
٤ -بشارة الكتب الإلهية بمحمد: **٢٠**
- جبال (فاران) - ٢٠
- (العاقر) - ٢٢
- (الفارقليط) - ٢٣
- (أركون العالم) - ٢٤
- (السيف من أجل الحق) - ٢٥
٥- بين ميـــلادين: **٢٨**
- آية تاريخية باهرة - ٣٠
- تحليل منطقي - ٣٢
٦ -الصادقون من (اليهود والنصارى): **٣٥**
- بحيرى (الراهب النصراني) - ٣٧
- (الجاهلي) الذي (تنصر) - ٣٩
- (القصة) - ٤٠
- (الملك) (النصراني) الذي (أسلم) - ٤٢
- هرقل (ملك النصارى) بالشام - ٤٤
- (الفارسي المجوسي) الذي (تنصر) ثم (أسلم) - ٤٩
٧- الأديب الروسي، والكاتب البريطاني: **٥٦**

٨- لا حيلة في المرتاب: ٥٩
٩- محمد يفتح المدينة مُستقبلاً بالفرح والنشيد: ٦٥
- (إسلام حبر جليل القدر من أحبار اليهود) - ٦٨
١٠- اعتـــــذار: ٧٢
١١- صورة محمد - عليه الصلاة والسلام -: ٧٥
١٢- ما أبذَّ هيئة خويلة!! ٨٣
١٣- أذكرها لأطباء الأسنان: ٨٧
١٤- تميمة القرظيه تضحك خير البرية: ٩٣
١٥- من يشتري هذا العبـد؟! ٩٩
١٦- هندسة الحلم وعِمَارة الرفـق: ١٠٣
- مهلاً يا عائشة - ١٠٥
١٧- (دَعُـــوه)، لا تقطعوا عليه بوله!! ١٠٨
١٨- حرارة الحِبـــر: ١١١
- دموع من أجلنا - ١١٣
١٩- أضحكهما كما أبكيتهما!! ١١٥
٢٠- لقد لقيت أسحـر البشـر!! ١١٩
- رحمة النعيم ورحمة الجحيم - ١٢٠
٢١- للزواج طعـمٌ آخـر!! ١٢٤
٢٢- رحلة الأزهـــار!! ١٣١
- توقف إجباري - ١٣٥
- مواصلة الرحلة - ١٣٧
٢٣- غـــذاءُ الروح بين رحمتيـن!!: ١٣٩

٢٤- من فجع هذه بولدها؟!! **١٤٤**
- جَمَلٌ يشتكي - ١٤٦
٢٥- عندما تطبخان مرقاً أو تشتريان فاكهة تذكراه!!: **١٤٩**
٢٦- رحمتـه بخصومه وأعدائه: **١٥٣**
- الصلح والفتح - ١٥٤
- لا تقتلوها - ١٥٦
- سيد قومه تحت الأسر - ١٥٧
٢٧- محاولات إطفاء السراج!! **١٥٩**
- ذلك ما قالوه هم لا أنا - ١٦٠
٢٨- فسقط السيف من يده!! **١٦٤**
- سيف ورحمة - ١٦٩
٢٩- نحو مجتمع سعيـد: **١٧٢**
- تواضع جم وحُب عميق - ١٧٥
٣٠- اعتـراف وعـــرفان: **١٧٧**
ثبت المصادر والمراجـــع **١٨٣**
فهرس المواضيع **١٩١**

محمد بشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام

إبراهيم بن عبد الله الغنام

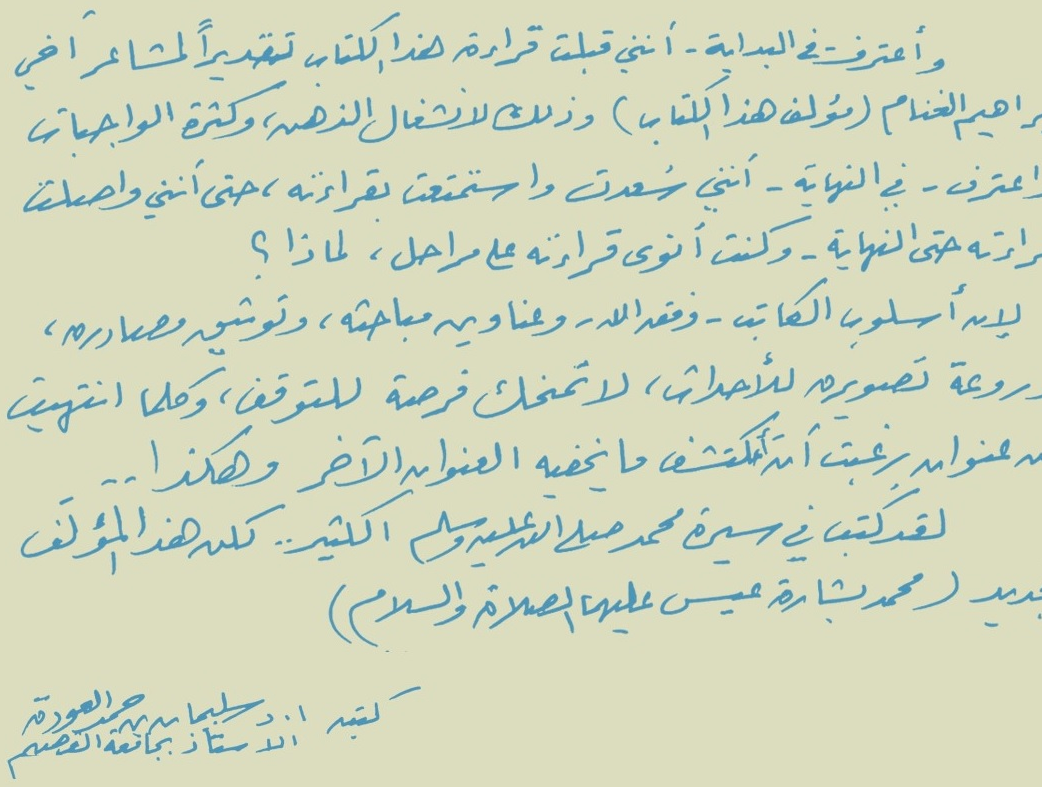
وأعترف - في البداية - أنني قبلت قراءة هذا الكتاب تقديراً لمشاعر أخي
ابراهيم الغنام (مؤلف هذا الكتاب) وذلك لانشغال الذهن، وكثرة الواجبات
واعترف - في النهاية - أنني سعدت واستمتعت بقراءته، حتى أنني واصلت
قراءته حتى النهاية - وكنت أنوي قراءته على مراحل، لماذا؟
لأنه أسلوب الكاتب - وفقه الله - وعناوينه مباحثه، وتوشيحه وصدارته،
وروعة تصويره للأحداث، لا تمنحك فرصة للتوقف، وكلما انتهيت
من عنوان رغبت أن أكتشف ما يخفيه العنوان الآخر وهكذا..
لقد كتب في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم الكثير.. لكنه هذا المؤلف
الجديد (محمد بشارة عيسى عليهما الصلاة والسلام)

كتبه: د. سليمان بن عبد العودة
الأستاذ بجامعة القصيم

دار العقيدة للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض
هاتف 0503310067